

إتحاف أهل الإيمان

بوظائف شهر رمضان
وبيلها رسالة إلى الأخوات المسلمات

جمع وتحقيق الفقيرين إلى الله تعالى
عبد الله بن جارا الله بن إبراهيم الجارا الله
و

رزق بن حمد المصري

غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإن شهر رمضان موسم عبادات متنوعة من صيام وقيام وقراءة قرآن وصدقة ودعاء واستغفار إلى غير ذلك والناس بحاجة إلى من يذكّرهم بها، ويحثهم عليها، ويرغبهم فيها، وقد كثرت الكتب المؤلفة في وظائف شهر رمضان ما بين مطولة ومختصرة وبين ذلك إلا أنه لم يوجد كتاب يغني عن غيره جامع بين الأحكام والمواظب والترغيب والترهيب وبعض المؤلفات في هذا الموضوع لا تخلو من الأحاديث الضعيفة والكلام المسجوع الذي هو غير مألوف في هذا العصر فاستخرنا الله تعالى على جمع كتاب متوسط جامع لما يحتاج إليه في رمضان بحسب الإمكان. وقد استفدنا كثيراً من كتاب (عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان) للشيخ إبراهيم بن عبيد أتابه الله وغفر لنا وله ولوالدينا ولجميع المسلمين ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن من أجمع الكتب التي ألفت في وظائف شهر رمضان وأنفعها كتابان هما مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين والمناهل الحسان في دروس رمضان للشيخ عبد العزيز المحمد السلطان أثابهما الله تعالى، ولعل هذا الكتاب يكون مكملًا لهما، وقد توجنا هذا الكتاب المبارك بثلاث رسائل مهمة في أحكام الصيام والزكاة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أثابه الله تعالى ونفع بعلمه.

وألفنا هذا الكتاب من باب التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساهمة في الخير وأداء الواجب ونشر العلم. وأضفنا كل قول إلى قائله. واستفدنا كثيراً من مجالس شهر رمضان ومن الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد الصالح العثيمين، ومن مجالس شهر رمضان

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند، ومن الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان. أثابهم الله تعالى وغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين.

وبما أن شهر رمضان المبارك يحضر فيه النساء غالباً إلى المساجد لصلاة التراويح وقيام رمضان ناسب أن يذكرن بما هن وعليهن من واجبات وحقوق لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأزواجهن فجمعنا في هذا الموضوع رسالة قيمة في آخر الكتاب بعنوان «رسالة إلى الأخوات المسلمات» وأسندنا الأحاديث إلى مخرجيها وذكرنا أرقام الآيات من سورها في المصحف الشريف.

وقد اشمل هذا الكتاب على ثلاثين باباً، وفي آخر كل باب «فصل» غالباً ليقرأ الباب على الجماعة بعد آذان العشاء، وإذا كان قصيراً يقرأ بعده ما تيسر مما يختص بالنساء، ويقرأ الفصل بعد صلاة العصر.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفع بهذا الكتاب من ألفه أو كتبه أو طبعه أو قرأه أو سمعه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومن أسباب الفوز لديه بجنات النعيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسميناه «اتحاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان» وذكرنا المراجع والفهرس في آخر الكتاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

المؤلفان

رزق بن حمد المصري

عبد الله بن جار الله الجار الله

١٤٠٩هـ

الباب الأول

في البشارة بقدوم شهر رمضان المبارك (*)

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم يتقربون إليه فيها بأنواع الطاعات، فيغفر لهم الذنوب ويرفع لهم الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله. حكم فقدّر. وشرع فيسر. ولا يزال يفيض على عباده من أنواع البر والبركات. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أول سابق إلى الخيرات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يحافظون على طاعة ربهم في جميع الأوقات ويحضون أوقات الفضائل بمزيد من القربات وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واعلموا أنه يجب على المسلم أن يعبد ربه ويطيعه في جميع مدة حياته. قال تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (١).

قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت و ينبغي. له أن يخص مواسم الخير بمزيد اهتمام واجتهاد وقد جعل الله مواسم للعبادة تضاعف فيها الحسنات أكثر من غيرها. ومن هذه المواسم شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فيا له من موسم عظيم الشأن. وقد نزل عليكم ضيفاً مباركاً ووافداً كريماً. فاستقبلوه بالغبطة والسرور، واشكروا الله إذ بلغكم إياه. واسألوه أن يعينكم على العمل الصالح فيه واسألوه القبول. فقد كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يدعو الله ببلوغ رمضان فقد روى الطبراني وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان. فكان إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان. وكان السلف الصالح يدعون الله أن يبلغهم رمضان فإذا بلغهم إياه دعوا الله أن يتقبله منهم وكان صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم هذا الشهر المبارك — فقد روى ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما عن سلمان رضي الله عنه. قال: خطبنا

(*) من الخطب المنبرية للشيخ صالح الفوزان ١/٧٥.

(١) سورة الحجر آية ٩٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: (يا أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة. وشهر يزداد فيه الرزق. ومن فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطِّر به الصائم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء. ومن سقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة. وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعودون به من النان). رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

عباد الله: لقد بين لكم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في هذا الحديث الشريف فضل هذا الشهر وما فيه من الخيرات وحثكم على الاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل. من صلوات وصدقات. وبذل معروف وإحسان وصبر على طاعة الله وعمارة نهاره بالصيام وليله بالقيام. واجتهاد في الدعاء والذكر وطلب الليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. فلا تضيعوه بالغفلة والإعراض كحال الأشقياء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فلا يستفيدون من مرور مواسم الخير عليهم ولا يعرفون لها حرمة ولا يُقدِّرون لها قيمة فيا أيها العاصي تب إلى ربك وانتبه لنفسك واستقبل هذا الشهر بالإقبال على الله — فإن الله يغفر الذنوب جميعاً وداوم على التوبة والاستقامة في بقية

عمرك. لعل الله أن يختم لك بالسعادة. ولعلك تكتب في هذا الشهر من جملة العتقاء من النار. شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان. وتعلق فيه أبواب النيران ويصفد فيه كل شيطان وتتنزل فيه الخيرات من الرحمن. شهر عظمه الله فعظموه وضيف كريم نزل بكم فأكرموه واحمدوا الله على بلوغه واشكروه.

عباد الله: كثير من الناس لا يعرفون هذا الشهر إلا أنه شهر لتتويع المآكل والمشارب فيبالغون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي و يكثر من شراء الكماليات التي لا داعي لها — ومعلوم أن الإكثار من الأكل يكسل عن الطاعة — والمطلوب من المسلم في هذا الشهر أن يقلل من الطعام حتى ينشط للعبادة والبعض الآخر لا يعرف شهر رمضان إلا أنه شهر النوم والبطالة فتجده معظم نهاره نائماً فينام حتى عن أداء الصلاة المفروضة. والبعض الآخر من الناس لا يعرف شهر رمضان إلا أنه وقت للسهر في الليل على اللهو واللعب والغفلة فإذا فرغ من سهره تسحر ونام عن صلاة الفجر. والبعض الآخر يجلس على مائدة إفطاره ويترك صلاة المغرب مع الجماعة. وهذا ما عليه كثير من الناس اليوم في شهر رمضان — أنهم يضيعون فيه الواجبات ويرتكبون فيه المحرمات. ولا يخشون الله ولا يخافونه — فما قيمة رمضان عند هؤلاء وماذا يستفيدون منه. والبعض الآخر من الناس: لا يعرفون شهر رمضان إلا أنه موسم للتجارة وعرض السلع فينشطون على البيع والشراء فيه ويلازمون الأسواق ولا يحضرون المساجد إلا قليلاً من الوقت وعلى عجل فصار رمضان عندهم موسماً للدنيا لا للآخرة. يطلب فيه الغرض الفاني ويترك النافع الباقي، وصنف من الناس لا يعرف شهر رمضان إلا أنه وقت للتسول في المساجد والشوارع فيمضي أوقاته بين ذهاب وإياب. ويظهر نفسه بمظهر الفقر والفاقة وهو كذاب مخادع أو يُظهر نفسه بمظهر المصاب بالآفات وهو سليم معافى — فيجحد نعمة الله. ويأخذ المال بغير حق. ويضيع وقته الغالي فيما هو مضره عليه. هذا قدر شهر رمضان في عرف هذه الأصناف من الناس. وهذا من أعظم الحرمان لهم وأشد المصائب عليهم. حيث ضيعوا الفرصة على أنفسهم. وأعرضوا عن فوائد هذا الشهر وصرفوا أوقاته في غير ما هيئت له.

عباد الله: كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يجتهد في هذا الشهر أكثر مما يجتهد في غيره بل كان يتفرغ فيه عن كثير من المشاغل ويقبل على عبادة ربه. وكان السلف الصالح يهتمون بهذا الشهر غاية الاهتمام ويتفرغون فيه للتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة. كانوا يجتهدون في قيام ليله وعمارة أوقاته بالطاعة — قال الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام وكانوا يحرسون على الجلوس في المساجد ويقولون: نحفظ صومنا ولا نغتاف أحداً — وكانوا يحرسون على صلاة التراويح ولا ينصرفون منها حتى ينصرف الإمام. وقد قال النبي — صلى الله عليه وسلم — (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

وقال — صلى الله عليه وسلم — (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) رواه أهل السنن.

فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على شهركم. وأكثروا فيه من طاعة ربكم لعلكم تكتبون فيه من الفائزين قال الله تعالى:

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (٢) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فصل

في التهنة بقدم رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا دخل رمضان، فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة» (*) وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»، رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماذا يستقبلكم وتستقبلونه ثلاث مرات؟ فقال عمر: يا رسول الله، وحي نزل، قال لا، قال عدو حضر، قال لا، قال فماذا: قال: إن الله يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة وأشار بيده إليها، فجعل رجل بين يديه يهز رأسه ويقول: بخ بخ!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فلان ضاق بها صدرك؟ قال: لا، ولكن ذكرت المنافق: فقال: إن المنافقين هم الكافرون وليس للكافرين في ذلك شيء) أخرجه ابن خزيمة والبيهقي. (١)

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان، فكان إذا دخل رجب يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان» وقال المعلى بن الفضل: كان السلف يدعو الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعو ستة أشهر أن يتقبله منهم، قال يحيى بن أبي كثير كان من دعائهم: [اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي

(*) رواه البخاري ومسلم.

(١) انظر الترغيب والترهيب للمنذري حديث رقم ١٦ — ١٧ من كتاب الصوم.

رمضان وتسلمه مني متقبلاً]. (١)

واعلم أنه يجب صيام شهر رمضان بأحد أمرين: إما برؤية هلاله، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، وينبغي للإنسان أن يتلقى هذا الشهر الشريف بالقبول والفرح والاهتمام بأداء حقوق الصوم فيعمر نهاره بالصيام وليله بالقيام، وبلوغ رمضان وصيامه نعمة عظيمة على مَنْ أقدره الله عليه. ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فَرُئِيَ في المنام سابقاً لهما. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة وأدرك رمضان فصامه؟ فوالذي نفسي بيده إن بينهما لأ بعد مما بين السماء والأرض» أخرجه أحمد وغيره.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه يقول: «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغْل فيهِ الشياطين. فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»، رواه الإمام أحمد والنسائي (٢) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) لطائف المعارف ص ١٥٦.

(٢) قال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ٦١٢/١ وهو حديث جيد لشواهده.

الباب الثاني (*)

في صوم رمضان ومن يجب عليه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من مواسم الخيرات وما حباكم به من الفضائل والكرامات وعظموا تلك المواسم واقدروها قدرها بفعل الطاعات والقربات واجتناب المعاصي والموبقات فإن تلك المواسم ما جعلت إلا لتكفير سيئاتكم وزيادة حسناتكم ورفع درجة درجاتكم.

عباد الله: لقد استقبلتم شهراً كريماً وموسماً رابحاً عظيماً لمن وفقه الله فيه للعمل الصالح، استقبلتم شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن شهراً تضاعف فيه الحسنات وتعمد فيه السيئات، أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، جعل الله صيام نهاره فريضة وركنا من أركان إسلامكم وقيام ليله تطوعاً لتكميل فرائضكم، من صامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن أتى فيه بعمره كان كمن أتى بحجة، فيه تفتح أبواب الجنة وتكثر الطاعات من أهل الإيمان وتغلق أبواب النار فتقتل المعاصي من أهل الإيمان وتغل الشياطين فلا يخلصون إلى أهل الإيمان بمثل ما يخلصون إليهم في غيره.

يها المسلمون: صوموا لرؤية هلال رمضان ولا تقدّموا عليه بصوم يوم أو يومين لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك إلا من كان عليه قضاء من رمضان الماضي فليقضه أو

(*) من خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين ص ٤٦٠.

كان له عادة بصوم فليصمه مثل من له عادة بصوم يوم الاثنين أو الخميس فصادف قبل الشهر بيوم أو يومين أو كان له عادة بصيام أيام البيض ففاتته فليس عليه بأس بصيامها قبل رمضان بيوم أو يومين، ولا تصوموا يوم الشك وهو اليوم الثلاثين من شعبان إذا كان في ليلته ما يمنع رؤية الهلال من غيم أو قتر أو نحوهما. ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه [من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم]. ومن رأى الهلال يقينا فليخبر به ولات الأمور ولا يكتمه. وإذا أعلن في إذاعتكم ثبوت دخول رمضان فصوموا وإذا أعلن فيه ثبوت دخول شوال فأفطروا لأن إعلان ولاية الأمور ذلك حكم به. (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه رأى الهلال فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس يا بلال أن يصوموا غداً) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

وصوم رمضان أحد أركان الإسلام فرضه الله تعالى على عباده فمن أنكر فريضته فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله واجماع المسلمين قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١) وقال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٢).

فالصوم واجب على كل مسلم عاقل بالغ قادر مقيم ذكراً كان أم أنثى ليست حائضاً ولا نفساء. فلا يجب الصوم على كافر فلو أسلم أثناء رمضان لم يلزمه قضاء ما

(١) سورة البقرة — آية ١٨٣.

(٢) سورة البقرة — آية ١٨٥.

مضى منه ولو أسلم في أثناء يوم من رمضان أمسك بقية اليوم ولم يلزمه قضاؤه.

ولا يجب الصوم على صغير لم يبلغ لكن إذا كان لا يشق عليه أمر به ليعتاده فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُصَوِّمون أولادهم حتى أن الصبي ليبكي من الجوع فيعطونه لعبة يتلهى بها إلى الغروب. ويحصل بلوغ الصغير إذا كان ذكراً بواحد من أمور ثلاثة: أن يتم له خمس عشرة سنة أو تنبت عانته أو ينزل منياً باحتلام أو غيره وتزيد الأنثى بأمر رابع وهو الحيض فمتى حصل للصغير واحد من هذه الأمور فقد بلغ ولزمته فرائض الله وغيرها من أحكام التكليف إذا كان عاقلاً. ولا يجب الصوم على من لا عقل له كالمجنون والمعتوه ونحوهما فالكبير المهدري لا يلزمه الصوم ولا الإطعام عنه ولا الطهارة ولا الصلاة لأنه فاقد التمييز فهو بمنزلة الطفل قبل تمييزه. ولا يجب الصوم على من يعجز عنه عجزاً دائماً كالكبير والمريض مرضاً لا يرجى برؤه ولكن يطعم بدلاً عن الصيام عن كل يوم مسكيناً بعدد أيام الشهر لكل مسكين ربع صاع نبوي من البرأي أن الصاع يكفي لأربعة فقراء عن أربعة أيام والأحسن أن يجعل مع الطعام شيئاً يأدمه من لحم أو دهن. أما المريض بمرض يرجى برؤه فإن كان الصوم لا يشق عليه ولا يضره وجب عليه أن يصوم، لأنه لا عذر له وإن كان الصوم يشق عليه ولا يضره فإنه يفطر ويكره له أن يصوم وإن كان الصوم يضره فإنه يحرم عليه أن يصوم ومتى برىء من مرضه قضى ما أفطر فإن مات قبل برئه فلا شيء عليه. والمرأة الحامل التي يشق الصوم عليها لضعفها أو ثقل حملها يجوز لها أن تفطر ثم تقضي إن تيسر لها القضاء قبل وضع الحمل أو بعده إذا طهرت من النفاس، والمرضع التي يشق عليها الصوم من أجل الرضاع أو ينقص لبنها من الصوم نقصاً يخل بتغذية الولد تفطر ثم تقضي في أيام لا مشقة فيها ولا نقص.

والمسافر إن قصد بسفره التحيل على الفطر فالفطر حرام عليه ويجب عليه الصوم وإن لم يقصد بسفره التحيل على الفطر فهو مخير بين أن يصوم وبين أن يفطر ويقضي عدد الأيام التي أفطر، والأفضل له فعل الأسهل عليه فإن تساوى عنده الصوم والفطر فالصوم أفضل لأنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه أسرع في إبراء ذمته وأخف من القضاء

غالباً. وإن كان الصوم يشق عليه بسبب السفر كره له أن يصوم، وإن عظمت المشقة به حرم أن يصوم لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام فقليل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدر من ماء بعد العصر فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب والناس ينظرون فقليل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال (أولئك العصاة أولئك العصاة). ولا فرق في المسافرين أن يكون سفره عارضاً لحاجة أو مستمراً في غالب الأحيان مثل أصحاب سيارات الأجرة (التكاسي) أو غيرها من السيارات الكبيرة فإنهم متى خرجوا من بلدهم فهم مسافرون يجوز لهم ما يجوز للمسافرين الآخرين من الفطر في رمضان وقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين والجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء عند الحاجة والفطر لهم أفضل من الصيام إذا كان الفطر أسهل لهم ويقضونه في أيام الشتاء لأن أصحاب هذه السيارات لهم بلد ينتمون إليها وأهل فيها يأوون إليهم فمتى كانوا في بلدهم فهم مقيمون وإذا خرجوا منها فهم مسافرون لهم ما للمسافرين وعليهم ما على المسافرين ومن سافر في أثناء اليوم في رمضان وهو صائم فالأفضل أن يتم صوم يومه فإن كان فيه مشقة فليفطر ثم يقضيه. ولا يتقيد السفر بزمان فمن خرج من بلده مسافراً فهو على سفر حتى يرجع إلى بلده ولو أقام مدة طويلة في البلد التي سافر إليها إلا أن يقصد بتطويل مدة الإقامة التحيل للفطر فإنه يحرم عليه الفطر ويلزمه الصوم لأن فرائض الله تعالى لا تسقط بالتحيل عليها.

ولا يجب الصوم على الحائض والنفساء ولا يصح منهما إلا أن تطهرا قبل الفجر ولو بلحظة فيجب عليهما الصيام ويصح منهما وإن لم تغتسلا إلا بعد طلوع الفجر ويلزمهما قضاء ما أفطرتا من الأيام.

أيها المسلمون: لقد رَغِبَ النبي صلى الله عليه وسلم في قيام هذا الشهر وقال (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه). وإن صلاة التراويح من قيام رمضان فأقيموها وأحسنوها وقوموا مع إمامكم حتى ينصرف فإن من قام مع الإمام حتى ينصرف

كتب له قيام ليلة تامة وإن كان نائماً على فراشه. وإن على الأئمة أن يتقوا الله عز وجل في صلاة التراويح فيراعوا من خلفهم ويسحنوا الصلاة لهم فيقيمونها بتأن وطمأنينة ولا يسرعوا فيها فيحرموا أنفسهم ومن وراءهم الخير أو ينقروها نقر الغراب لا يطمثون في ركوعها وسجودها وقعودها والقيام بعد الركوع فيها، على الأئمة أن لا يكون هم الواحد منهم أن يخرج قبل الناس أو أن يكثر عدد التسليمات دون إحسان الصلاة فإن الله تعالى يقول: (لبلوكم أيكم أحسن عملاً) (٣) لم يقل أيكم أسرع نهاية أو أكثر عملاً وقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو أحرص الناس على الخير والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر كان لا يزيد على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قام بأصحابه في رمضان ثم ترك ذلك خشية أن تفرض على الناس فيعجزوا عنها. وصح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أبي بن كعب وقيما الداري أن يقوموا في الناس بإحدى عشرة ركعة فهذا العدد الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليه واتبعه فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أفضل عدد تصلى به التراويح ولو زاد الإنسان رغبة في الزيادة لا رغبة عن السنة بعد أن تبينت له لم ينكر عليه لورود ذلك عن بعض السلف وإنما ينكر الإسراع الفاحش الذي يفعله بعض الأئمة فيفوت الخير عليه وعلى من خلفه.

وفقني الله وإياكم لاغتنام الأوقات بالطاعات وحمانا من فعل المنكر والسيئات وهدانا صراطه المستقيم وجنبنا صراط أصحاب الجحيم وجعلنا ممن يصوم رمضان ويقومه إيماناً بالله واحتساباً لثواب الله إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(٣) سورة الملك آية (٢).

فصل

في فضل تلاوة القرآن وتدبره

قال الله تعالى: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) (١).

يخبر تعالى عن عظمة القرآن وفضله وجلاله، وأنه لو خوطب به صم الجبال لتصدعت من خشية الله فهذه حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته وخشيته.

فيا عجباً من مضغة لحم كانت أقسى من هذه الجبال تحوّف من سطوة الجبار وبطشه، فلا ترعوي ولا ترتدع، وتسمع آيات الله تتلى عليها فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب، فليس بمستنكر على الله عز وجل، ولا يخالف حكمته أن يخلق لها ناراً تذيبها إذا لم تلتن بكلامه وزواجه ومواعظه فمن لم يلن قلبه لله في هذه الدار، ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبقاء من خشيته، فليتمتع قليلاً، فإن أمامه الملائن الأعظم، وسيرد إلى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم.

واعلم أن شهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).

وكان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل ليلة في رمضان.

وفي فضل تلاوة القرآن أخبار كثيرة، والمطلوب القراءة بالتدبر. وأخرج الإمام أحمد من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب (المتغير اللون) فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته، فيعطى الملك يمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج

(١) سورة الحشر آية (٢١).

الوقار، ثم يقال له: إقرأ وارق في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذا كان أوترتيلا».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبناهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكيناً ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً، ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً^(١)].

وينبغي تحسين الصوت بالقراءة، فيقرأ بترتيل وحزن وتدبر وقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري، وقال له «لورأيتني وأنا استمع لقراءة البارحة» فقال: [لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً] أي: حسنته وزينته بصوتي تزينا.

وكان رضي الله عنه حسن الصوت، حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود».

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» رواه أبو داود بإسناد صحيح ومعنى يتغن بالقرآن يحسن صوته بالقرآن.

وينبغي له أن يكي، فإن لم يبك فليتبك، وأن يسأل الله عند آية الرحمة ويتعوذ عند آية العذاب، ولا ينبغي له السرعة والهدرمة وينبغي أن يكون ذا سكينه ووقار وقناعة بما قسم الله له، لأن الله امتن عليه بنعمة عظيمة، بأن جعله حاملاً لكتابه. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد.

(١) انظر لطائف المعارف ص ١٨٣.

الباب الثالث

في فضل شهر رمضان المبارك (*)

أيّه المسلمون: إنكم في شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع الدرجات، وتغفر فيه السيئات شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم، وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة، منها تطهير النفوس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه، ومن فوائد الصوم أنه يُعرّف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره إلى ربه ويُذكره بعظيم نعم الله ويُذكره أيضاً بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة إخوانه الفقراء بالإحسان إليهم، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)(١).

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

(٥) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لتتقيه سبحانه، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض فوائد الصوم في قوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١) فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم أي وسيلة لطهارته وعفاه، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر بالله وعظمته فيضعف سلطان الشيطان ويقوى سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمن وتقل به المعاصي، وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم للمتأمل من ذوي البصيرة ومنها أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيراً من الأمراض، وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات) إلى أن قال عز وجل (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)^(٢) وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٣ — ١٨٥.

أنه قال: «كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف» يقول الله عز وجل [إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي] ويقول صلى الله عليه وسلم «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»^(١) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين» وأخرج الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، ويناوي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه» (وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً)^(٢) (وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة)^(٣) وليس في قيام رمضان حد محدود لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قيام الليل قال: «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»^(٤) ولم يحدد صلى الله عليه وسلم للناس في قيام الليل ركعات محدودة، بل أطلق لهم ذلك، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، أو ثلاثاً وعشرين، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه، ولكن الأفضل هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه في أغلب الليالي

(١) رواه البخاري مسلم من حديث عائشة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وهو إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة، وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب، والخشوع فيها، وأداؤها كما شرع الله باخلاص، وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب، كما قال الله سبحانه (قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون) (٥) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة) (١) وقال للذي أساء في صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» (٢) وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها، بل ينقرها نقراً وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة فالواجب الحذر من ذلك. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قالوا يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» (٣) وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها (٤) فيا معشر المسلمين: اغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات، وسارعوا فيه إلى الطاعات، فهو شهر عظيم جعله الله ميداناً لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات، فأكثرُوا فيه رحمكم الله من الصلوات والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، فتأسوا بنبيكم صلى الله عليه وسلم واقتدوا به في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام وأحتسبوا، أجر ذلك عند الملك العلام،

(٥) سورة المؤمنون آية ١ - ٢.

(١) رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم وابن القيم.

(٢) رواه البخاري ومسلم. (٣) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

(٤) في قوله في الحديث المتقدم ارجع فصل فإنك لم تصل متفق عليه.

واحفظوا صيامكم عما حرم الله عليكم من الأوزار والآثام، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٥) وقال عليه الصلاة والسلام «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن امرؤ سابه أحد فليقلل إني امرؤ صائم» (٦).

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام عن اللغو والرفث» (٧) وقال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: [إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك و يوم فطرك سواء..] فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار اغتناما للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ومرضات فاطر الأرض والسموات واحذروا رحمكم الله كل ما ينقص الصوم ويضعف الأجر، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى وأنواع الظلم وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والدعاوى الباطلة والأيمان الكاذبة وحلق اللحى وتقصيرها وإطالة الشوارب والتكبر واسبال الثياب وشرب المسكرات والتدخين وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله، وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ولكنها في رمضان أشد تحريما وأعظم إثما لفضل الزمان وحرمته، ومن أقبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما أثبت به كثير من الناس من التكاسل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد، ولا شك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك، قال الله تعالى: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا

(٥) رواه البخاري

(٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه البيهقي في السنن والحاكم عن أبي هريرة وصححه السيوطي.

قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى» (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر» (٢) وقال له صلى الله عليه وسلم رجل أعمى: يا رسول الله: إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلازميني فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل تسمع النداء للصلاة قال نعم، قال فأجب» (٣) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، وقال رضي الله عنه: لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» (٤).

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضاً ما يلي به الكثير من الناس من استماع الأغاني والآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها، ولا ريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به، ومن أعظم الأسباب أيضاً في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) (٥) ولقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء والآلات للهو وكل كلام يصد عن الحق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» (٦) والحر هو الفرج الحرام والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي الغناء وآلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال الغناء وآلات الملاهي، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وهذه من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما

(١) رواه الدارقطني وابن ماجه وصححه الألباني.

(١) سورة النساء آية ١٤٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) سورة لقمان آية ٦.

ينبت الماء الزرع فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة... والله المسئول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه وأن يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا، وأن يصلح ولاية أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه، وأن يوفق الجميع للفقہ في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه. (١)

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

(١) عن مجلة رابطة العالم الإسلامي في ١/٩/١٣٩٧هـ.

فصل

فضل هذا الشهر على غيره من الشهور

قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)^(١) هذا مدح من الله تعالى لشهر رمضان يمتدحه من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء كما ورد ذلك في مسند الإمام أحمد من حديث واثلة بن الأسقع^(٢) وكذلك اختصه الله بالصيام ومضاعفة الأجور والأعمال وفي معنى إنزال القرآن فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه أنزل في شهر رمضان جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وذلك في شهر رمضان في ليلة القدر ثم أنزل نجوماً مفرقاً بعده بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنزل القرآن بفرض صيامه.

الثالث: أنزل بفضل القرآن.

الرابع: ابتدء فيه بإنزال القرآن^(٣).

(هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) أي بيانا لهم والبيانات هي الآيات الواضحات.

وفي حديث سلمان [أنه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار] فأول هذا الشهر رحمة ولهذا ورد في الحديث الصحيح «أنه تفتح فيه أبواب الرحمة» وهي للمحسنين المتقين. قال الله تعالى: (إن رحمت الله قريب من المحسنين) فيفاض على المتقين في أول الشهر خلع الرحمة والرضوان ويعامل أهل الإحسان بالفضل والإحسان

(١) سورة البقرة آية ١٨٥. (٢) انظر تفسير ابن كثير ٢١٥/١.

(٣) انظر كتاب قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة ص ٢٥٨.

وهو شهر الصبر ثوابه الجنة ويزاد فيه رزق المؤمن وتفتح فيه أبواب لاجنان وتغلق فيه أبواب النيران ويصفد فيه كل مارد شيطان.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر) رواه مسلم وغيره.

وقد امتن الله تبارك وتعالى على عباده بقوله: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) فهذه نعمة من الله تفضل بها على خلقه بأن الإنسان إذا كان مريضاً أو مسافراً فإنه يفطر و يقضيه في عدة أيام أخر، فيباح للمسافر الفطر، وهو أفضل من الصوم أخذاً برخصة الله عز وجل وإن صام فلا بأس وأجزأه ذلك، وكذلك المريض والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أفطرتا وقضتا، وعلى ولديهما تقضيان وتطعمان عن كل يوم مسكينا، فإذا كان المكلف صحيحاً مقيماً فإنه يلزمه الصوم حتماً، وعليه الوعيد الشديد إن أفطر من غير عذر فله الحمد على ذلك وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباب الرابع

في فضل صيام شهر رمضان وقيامه مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس (*)

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يشير أصحابه بمجيئ شهر رمضان ويخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه شهر تفتح فيه أبواب الرحمة وأبواب الجنة وتغلق فيه أبواب جهنم وتغل فيه الشياطين ويقول صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب وصدت الشياطين وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «جاءكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله» (٢).
ويقول عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» (٣).

ويقول عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل «كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (٤) والأحاديث في فضل صيام رمضان وقيامه وفضل الصوم (١) رواه الترمذي وقال حديث غريب وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ورواه النسائي والحاكم بنحو هذا اللفظ وقال صحيح على شرطهما (الترهيب والترغيب ج ٢ ص ٢٢٠).

(٢) رواه الطبراني ورواته ثقات (المصدر السابق ص ٢٢٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

كثيرة فينبغي للمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة وهي ما من الله به عليه من إدراك شهر رمضان فيسارع إلى الطاعات ويحذر السيئات ويجتهد في أداء ما افترض الله عليه ولا سيما الصلوات الخمس فإنها عمود الإسلام وهي أعظم الفرائض بعد الشهادتين فالواجب على كل مسلم ومسلمة المحافظة عليها وأداؤها في أوقاتها بخشوع وطمأنينة، ومن أهم واجباتها في حق الرجال أداؤها في الجماعة في بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله عز وجل: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) (٥) وقال تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» (٦) وقال عز وجل: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال عز وجل: «والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) سورة المؤمنون آية ١ - ١١.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «العهد الذين بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» (٧) وأهم الفرائض بعد الصلاة أداء الزكاة كما قال عز وجل: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة» (٨) وقال تعالى: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون» (٩). وقد دل كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم على أن من لم يؤد زكاة ماله يعذب به يوم القيامة، وأهم الأمور بعد الصلاة والزكاة صيام رمضان وهو أحد أركان الإسلام الخمسة المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم. (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) (١٠) ويجب على المسلم أن يصوم صيامه وقيامه عما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال لأن المقصود بالصيام هو طاعة الله

(٥) سورة البقرة آية ٤٣.

(٦) سورة البقرة آية ٢٣٨.

(٧) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (رياض الصالحين ص ٤٩٢).

(٨) سورة البقرة آية ٥٦.

(٩) سورة البقرة آية ٥.

[١٠ - ١١] متفق عليهما

سبحانه وتعظيم حرماته وجهاد النفس على مخالفة هواها في طاعة مولاهما وتعويدها على الصبر عما حرم الله وليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم) (١١) وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن أن يدع طعامه وشرابه) (١٢).

فعلم بهذه النصوص وغيرها أن الواجب على الصائم الحذر من كل ما حرم الله عليه والمحافظة على كل ما أوجب عليه وبذلك يرجى له المغفرة والعتق من النار وقبول الصيام والقيام.

(١١) متفق عليه
(١٢) رواه البخاري

أمر قد تخفى على بعض الناس

وهناك أمور قد تخفى على بعض الناس منها أن الواجب على المسلم أن يصوم إيماناً واحتساباً لا رياء ولا سمعة ولا تقليداً للناس أو متابعة لأهله أو أهل بلده بل الواجب عليه أن يكون الحامل له على الصوم هو إيمانه بأن الله قد فرض عليه ذلك واحتسابه الأجر عند ربه في ذلك.

وهكذا قيام رمضان يجب أن يفعله المسلم إيماناً واحتساباً لا لسبب آخر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (١٣).

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس ما قد يعرض للصائم من جراح أو عاف أوقىء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم ولكن من تعمد القيء فسد صومه لقول النبي صلى الله عليه وسلم «من ذرعه القيء فلا قضاء عليه ومن استقاء فعليه القضاء» (١٤). ومن ذلك ما قد يعرض للصائم من تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر وما يعرض لبعض النساء من تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر إذا رأت الطهر قبل الفجر فإنه يلزمها الصوم ولا مانع من تأخيرها الغسل إلى ما بعد طلوع الفجر ولكن ليس لها تأخيرها إلى طلوع الشمس بل يجب عليها أن تغتسل وتصلّي الفجر قبل طلوع الشمس وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس بل يجب عليه أن يغتسل ويصلّي الفجر قبل طلوع الشمس ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة.

ومن الأمور التي لا تفسد الصوم تحليل الدم وضرب الإبر غير التي يقصد بها التغذية لكن تأخير ذلك إلى الليل أولى وأحوط إذا تيسر ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم

(١٣) متفق عليه.

(١٤) رواه الخمسة وأعله أحمد وقواه الدارقطني (بلوغ المرام ص ١٥٦).

(دع ما يريك إلى ما لا يريك) (١٥) وقوله عليه الصلاة والسلام (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) (١٦).

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس عدم الاطمئنان في الصلاة سواء كانت فريضة أو نافلة وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه وهي الركود في الصلاة والخشوع فيها وعدم العجلة حتى يرجع كل فقار إلى مكانه، وكثير من الناس يصلي في رمضان صلاة التراويح صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرا نقراً وهذه الصلاة على هذا الوجه باطلة وصاحبها آثم غير مأجور.

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس ظن بعضهم أن التراويح لا يجوز نقصها عن عشرين ركعة وظن بعضهم أنه لا يجوز أن يزداد فيها على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وهذا كله ظن في غير محله بل هو خطأ مخالف للأدلة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن صلاة الليل موسع فيها فليس فيها حد محدود لا تجوز مخالفته بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة (١٧) وربما صلى ثلاث عشرة وربما صلى أقل من ذلك في رمضان وفي غيره، ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل قال «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر ما قد صلى» متفق على صحته.

ولم يحدد ركعات معينة لا في رمضان ولا في غيره ولهذا صلى الصحابة رضي الله عنهم في عهد عمر رضي الله عنه في بعض الأحيان ثلاثاً وعشرين ركعة وفي بعضها إحدى عشرة ركعة كل ذلك ثبت عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في عهده (١٨).

(١٥) رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح (الأربعون النووية) حديث رقم (١١)

(١٦) و(١٧) متفق عليه.

(١٨) رواه مالك في الموطأ ج ١ ص ١٣٨.

وكان بعض السلف يصلي في رمضان ستا وثلاثين ركعة ويوتر بثلاث وبعضهم يصلي إحدى وأربعين ركعة، ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام بن تيمية — رحمه الله — وغيره من أهل العلم كما ذكر — رحمه الله — أن الأمر في ذلك واسع، وذكر أيضا أن الأفضل لمن أطال القراءة والركوع والسجود أن يقلل العدد ومن خفف القراءة والركوع والسجود زاد في العدد، هذا معنى كلامه رحمه الله ومن تأمل سنته صلى الله عليه وسلم علم أن الأفضل في هذا كله هو صلاة إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة في رمضان وغيره لكون ذلك هو الموافق لفعل النبي صلى الله عليه وسلم في غالب أحواله ولأنه أرفق بالمصلين وأقرب إلى الخشوع والطمأنينة ومن زاد فلا حرج ولا كراهة كما سبق، والأفضل لمن صلى مع الإمام في قيام رمضان أن لا ينصرف إلا مع الإمام لقول النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة»^(١٩) ويشرع لجميع المسلمين الاجتهاد في أنواع العبادة في هذا الشهر الكريم من صلاة النافلة وقراءة القرآن بالتدبر والتعقل والاكتثار من التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والدعوات الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل ومواساة الفقراء والمساكين والاجتهاد في بر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الجار وعبادة المريض وغير ذلك من أنواع الخير لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق «ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله»، رواه الطبراني ورواته ثقات.

ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق «يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر»، ولما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه)^(٢٠) ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح

(١٩) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي (مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٠٦ وهو

الحديث رقم ١٢٩٨.

(٢٠) رواه ابن خزيمة في صحيحه جـ ٣ ص ١٩١ — ١٩٢.

(عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال حجة معي) (٢١).

والأحاديث والآثار الدالة على شرعية المسابقة والمنافسة في أنواع الخير في هذا الشهر الكريم كثيرة. والله المستول أن يوفقنا وسائر المسلمين لكل ما فيه رضاه وأن يتقبل صيامنا وقيامنا ويصلح أحوالنا ويعيذنا من مضلات الفتن كما نسأله سبحانه أن يصلح قادة المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق أنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٢١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٠٥).

الباب الخامس

في الاجتهاد في رمضان (*)

الحمد لله الذي منّ على عباده بمواسم الخيرات، ليغفر لهم بذلك الذنوب و يكفر عنهم السيئات، وليضاعف لهم به الأجور و يرفع الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واسع العطايا وجزيل الهبات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المخلوقات، أتقى الناس لربه وأخشاهم له في جميع الحالات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما توالى الشهور والأوقات وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أنعم به عليكم من مواسم الخير والبركات، وما حباكم به من الفضائل والكرامات واعرفوا قدر هذه المواسم بعمارتها بالطاعات وترك المحرمات.

عباد الله: إنكم في شهر مبارك كريم، وموسم رابح عظيم شهر تضاعف فيه الحسنات وتكثُرُ فيه السيئات، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، شهر أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتقاً له من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، أعطيت فيه هذه الأمة خمس خصال لم تعطهن أمة من الأمم قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفتروا، ويزين الله كل يوم جنته فيقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره و يغفر لهم في آخر ليلة منه. إنه شهر رمضان من صامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، من أتى فيه بعمره كان في الأجر كمن حج. فيه

تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران.

(٥) من خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين ص ٤٥٧.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصوم جنة «يعني وقاية من الإثم والنار» فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) أما فرحه عند فطره فيفرح بنعمتين نعمة الله عليه بالصيام ونعمته عليه بإباحة الأكل والشراب والنكاح، وأما فرحه عند لقاء ربه فيفرح بما يجده من النعيم المقيم في دار السلام .

وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن في الجنة باباً يقال له الرّيان يدخل منه الصائمون لا يدخله غيرهم فإذا دخلوا أغلق ولم يفتح لغيرهم).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم: (الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين). رواه أحمد والترمذي وحسنه.

عباد الله اغتنموا شهر رمضان بكثرة العبادة والصلاة والقراءة والإحسان إلى الخلق بالمال والبدن والعفو عنهم واستكثروا فيه من أربع خصال اثنتان ترضون بهما ربكم واثنتان لا غنى لكم عنهما فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار).

عباد الله احفظوا صيامكم عن النواقص والنواقض احفظوه عن اللغو والرفث وقول الزور وهو كل قول محرم، وعمل الزور وهو كل عمل محرم، فمن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، ومن لم يحفظ صيامه قرب صائم ليس له إلا الجوع والظمأ. اجتنبوا الكذب والفحش والغش والخيانة اجتنبوا الغيبة والنميمة، اجتنبوا الأغاني المحرمة واللغو المحرم، فعلاً وسماً فإن كل هذه من

منقصات الصيام، قوموا بما أوجب الله عليكم من الصلاة في أوقاتها وأدائها مع الجماعة، قوموا بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الحكمة من الصيام التقوى (يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١).

عباد الله قوموا شهر رمضان فإن من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. واعلموا أن صلاة التراويح هي قيام رمضان ولكن سميت تراويح لأنهم كلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً، صلوا هذه التراويح بطمأنينة، بخشوع وحضور قلب فإنها صلاة، لا مجرد حركات، والمقصود منها التعب لا سرد ركعات، وإن كثيراً من الناس يتهاون بهذه التراويح من الأئمة وغير الأئمة أما الأئمة فكثير منهم يسرع بها إسراعاً مخلاً بكثير من السنن بل ربما يخل بالأركان وأما غير الأئمة فيفرطون فيها بالترك وعدم الصبر مع الإمام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة) فقوموا مع الإمام حتى ينصرف من الوتر وإذا قمتم من آخر الليل واحببتم الصلاة فصلوا ركعتين ركعتين بدون وتر لأن الوتر لا يعاد مرة ثانية.

واعلموا أن أفضل عدد تصلي به التراويح ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة (رواه مسلم) وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أبي بن كعب وقيما الداري أن يقوموا للناس بإحدى عشرة ركعة (رواه مالك في الموطأ عن محمد بن يوسف وهو ثقة ثبت عن السائب بن يزيد وهو صحابي) فهذا العدد جاءت به سنة النبي صلى الله عليه وسلم واتبعه فيها عمر ومع ذلك لو صلاها الإنسان ثلاثاً وعشرين أو تسعاً وثلاثين كما كان الناس عليه على عهد عمر بن عبد العزيز أو أقل من هذا فلا

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

ينكر عليه لأنه روي عن السلف في ذلك اختلاف، ولكن الذي ينكر على بعض الناس هو الإسراع المفرط الذي تذهب به الطمأنينة وتفوت به مكملات الصلاة وربما واجباتها. واجتهدوا أيها المسلمون في قراءة القرآن فإنه كلام ربكم فلکم الشرف في تلاوته والأجر ولكم بالعمل به الحياة الطيبة وطيب الذكر ولكم بكل حرف منه عشر حسنات وإذا مررتم بآية سجدة فاسجدوا في أية ساعة من ليل أو نهار كبروا عند السجود وقولوا في السجود سبحان ربي الأعلى وادعوا وإذا سجدتم للتلاوة في الصلاة فكبروا عند السجود وعند الرفع منه. وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فصل في المسابقة إلى الخيرات

قال في اللطائف: لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: «فاستبقوا الخيرات»^(١) وقوله: «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض»^(٢) فهموا أن المراد من ذلك: أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية. فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها كما قال تعالى: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»^(٣) ثم جاء بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد^(٤).

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) سورة الحديد آية ٢١.

(٣) سورة المطففين آية ٢٦.

(٤) انظر لطائف المعارف ص ٢٦٠.

الباب السادس

في فضل القائمين بالقرآن من هذه الأمة وما للصائم عند فطره

قال الله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد. ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا، ولباسهم فيها حرير. وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب» (١).

يخبر تعالى عن حال القائمين بالكتاب العظيم، وهو القرآن الكريم. المصدق لما بين يديه من الكتاب، فقال: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ومنهم مقتصد وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. وقد رؤي في بعض الأحاديث «أن السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا، والظالم لنفسه هو الذي يجيء بذنوب دون الشرك، فإذا نقوا من ذنوبهم دخلوا الجنة برحمة الله تعالى».

وقال محمد بن علي الباقر «فمنهم ظالم لنفسه» قال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية، قالت للسائل: يا بُني، هؤلاء في الجنة.

(١) سورة فاطر آية ٣٢ - ٣٥.

أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك» قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات. لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد) قال الراوي: سمعت عبد الله يقول عند فطره [اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي] رواه البيهقي.

ما للصائم عند فطره

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) رواه أحمد وغيره. (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: (للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه) (٢) أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها: من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً، والصائم عند فطره كذلك فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره فأحب عباده إليه أعجلهم فطراً، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته بالنهار تقرباً إلى الله وطاعة له، وبيادر إليها في الليل تقرباً إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر ربه ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مطيع له في الحالين.

ولهذا نهى عن الوصال في الصيام، فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقرباً إلى مولاه وأكل وشرب وحمد الله فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان، وفي الحديث «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» (٣) وربما استجيب دعاؤه عند ذلك كما تقدم، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثاباً على ذلك كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنهار التقوي على العمل كان نومه عبادة.

ورد في حديث مرفوع (نوم الصائم عبادة) قالت حفصة بنت سيرين: قال أبو

(١) والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما (الترغيب والترهيب ٢/٢١٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

العالية: [الصائم في عبادة ما لم يغترب أحداً، وإن كان نائماً على فراشه]. فكانت حفصة تقول: [يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي] أخرجه عبد الرزاق، فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره.

فهذا معنى فرح الصائم عند فطره، ويدخل هذا الفرح في قوله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»^(١).

ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال، فإن كان فطره على حرام كان ممن صام عما أحل الله وأفطر على ما حرم الله، ولم يستجب له دعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام (فأني يستجاب لذلك)^(٢) فهذا فرح الصائم عند فطره.

وأما فرحه عند لقاء ربه فهو فرحه بما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخوراً له فيجده أحوج ما كان إليه فإن الله لا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً، وقال تعالى: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً» سورة المزمل آية ٢٠ قال سفيان بن عيينه «إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يَدَّخِرُهُ الله عنده للصائم حتى يدخله به الجنة» وعن عيسى عليه السلام قال: (إن هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ماذا تضعون فيهما) فالأيام والليالي خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائهم الحسرة والندامة.^(٣) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) سورة يونس آية ٥٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٦٥ - ١٦٦.

فصل

في الحث على التأدب مع القرآن وآداب القراءة

قال الله تعالى: «ليسوا سوءاً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون»^(١) يقول تعالى: لا يستوي هؤلاء ومن كان قبلهم في الفضل، وقال عز وجل: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب»^(٢) أى ذوو العقول.

قال الحسن البصري: [والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن لا يكون قارئاً حتى يكون عاملاً].

وكان رضي الله عنه يقول: [إن من شر الناس أقواماً قرأوا هذا القرآن لا يعملون بسنته، ولا يتبعون لطريقته أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون.

اعلم أن تلاوة القرآن لها فضل عظيم والمطلوب القراءة بالتدبر وللقراءة آداب ومقاصد.

فأول ما يؤمر به: الإخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله سبحانه ولا يقصد بها توصلاً إلى شيء سوى ذلك، وأن يتأدب مع القرآن، بأن يقرأ طاهراً، مستقبل القبلة. ولا بأس بقراءة من عليه حدث أصغر ويستاك إذا أراد القراءة بالسواك و ينظف فمه وتكره قراءة نجس الفم، ويستحضر في ذهنه أنه يناجي الله سبحانه وتعالى بكلامه فيقرأ على حال من يرى الله فإنه إن لم يره فإن الله تعالى يراه ثم يستعيز بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٣) فإن إبليس اللعين إذا أراد العبد قراءة القرآن أجلب عليه بخيله ورجله ليشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد به المتكلم ولهذا يغلط القارئ تارة، وينسيه القراءة ويشوشها، أو يشوش عليه فهمه وقلبه.

(١) سورة آل عمران آية ١١٣.

(٢) سورة المؤمن آية ٢٩.

(٣) سورة النحل آية ٩٨.

فهذه عادة الشيطان الخبيث أنه يحرص على الإنسان عندما يهمل بالخير ليصده عنه فإذا قال العبد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من قلب حاضر فقد دخل على مولاه ولاذ بجناحه واعتصم بالله وامتنع، فعند ذلك يولى الشيطان هارباً حقيراً ذليلاً مدحوراً.

واعلم أن ملائكة الرحمن تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته، ويجهر بالترتيل إن كان ليس يتأذى بجهره أحد وييسمل في أول كل سورة إن شاء سرّاً وإن شاء جهراً، ثم يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله أكثر من أن تحصر وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب السابع

في الصلاة والمحافظة عليها (١)

الحمد لله الذي جعل الصلاة صلة بين العبد وربّه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله أصحابه وأتباعه الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد فيا عباد الله أوصيكم بتقوى الله والمحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها وأدائها بتمامها فهي ركن الدين الركين ومن تركها فهو ليس من المسلمين قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» البقرة آية (٢٣٨) وقال عز وجل.

«إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» النساء آية (١٠٣) وقال جل شأنه.

«والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك في جنات مكرمون» المعارج آية (٣٤) و (٣٥) وقال جل ذكره.

«وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» طه آية (١٣٢) وقال عز وجل «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» العنكبوت آية (٤٥) وقال تبارك وتعالى:

«فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون» الماعون آية (٤) و (٥) والآيات القرآنية كثيرة في ذكر الصلاة واليك ما ورد من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى قال: (الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند ص ٣٥.

قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تُصَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، الحديث رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله رواه مالك ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثرُوا من الدعاء رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) رواه مالك والبخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا) رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله أحسنوا صلاتكم وأتموا ركوعها وسجودها فإنه قد جاء في الحديث أن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها وتشفع لصاحبها وتقول حفظك الله كما حفظتني وإذا أساء في صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا حدودها صعدت ولها ظلمة فتقول ضيعك الله كما ضيعتني فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ثم لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب وجه صاحبها.

فرحم الله من أقبل على الصلاة خاشعاً ذليلاً لله عز وجل خائفاً وجللاً مشفقاً راجياً وجعل أكثرهم في صلاته لربه ومناجاته إياه وانتصابه بين يديه قائماً وراكعاً وقاعداً وساجداً وفرغ لذلك قلبه واجتهد في أداء فرائضه فإنه لا يدري هل يصلي صلاة بعد التي هو فيها أو يعاجل قبل مقامه بين يدي ربه عز وجل محروماً مشفقاً يرجو قبولها ويخاف ردها إن قبلها سعد وإن ردها شقى.

وإن العجب كل العجب من طول غفلتك وطول سهوك وهوك عن أمور الآخرة وأنت

تساق سوقاً عنيفاً في كل يوم وليلة وفي كل ساعة وطرفة عين فتوقع أجلك يا أخي ولا تغفل عن الخطر العظيم الذي قد أضلك فإنك لا بد ذائق الموت ولاقيه.

ولعله ينزل بساحتك في صباحك أو مساءك أيسر ما يكون عليك اقبالاً فكأنك قد خرجت من ملكك كله وسلبته فإما إلى الجنة وإما إلى النار.

فيا عباد الله اعلّموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح من حافظ على الصلوات الخمس في ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة، وأن الله سبحانه وتعالى فرض علينا الصلوات الخمس وأمرنا بأدائها في أوقات معلومة وبكيفية مخصوصة ونهانا عن تضييعها وتأخيرها عن أوقاتها أمرنا بذلك في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الرحيم محمد صلى الله عليه وسلم، وكلفنا بأن نقيمها كاملة بخشوع وسكينة وطمأنينة وعلمنا عليه الصلاة والسلام بقوله وفعله كيف نؤديها جماعة وأفراداً لتكون صلاة تامة كاملة صحيحة مقبولة فقال صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي) رواه البخاري.

واعلموا أن من أخر الصلاة عن وقتها بلا عذر يبيح له تأخيرها فهو لم يحافظ عليها كما أمر الله تعالى وكان من الساهين الذين توعدهم الله تعالى بقوله: «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»^(١) سورة الماعون آية ٤ - ٥.

والذي يصلي صلاة لا يتم ركوعها وسجودها ولا يطمئن فيها فهو لم يصل ولم يحافظ عليها وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سارق، وقال عليه الصلاة والسلام وقد رأى رجلاً وهو لا يتم ركوعها وسجودها لو مات هذا على حالته مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سابق إمامه في صلاته بتكبير أو ركوع أو سجود أو سلام فهو لم يصل.

فالإمام لم يجعل إلا ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وإذا كبر وركع فكبروا واركعوا فأوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المأموم متابعة إمامه والافتداء

(١) انظر رسالة الصلاة للإمام أحمد.

به وأن لا يسبقه بشيء من الصلاة فمن لم يمثّل وسابق إمامه فلا صلاة له لأنه لا وحده صلى ولا بإمامه اقتدى.

فيا عباد الله أدوا الصلاة كما أمركم الله وكما شرع لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظوا على الصلوات في أوقاتها وأدوها بتمامها ولازموا الجمع والجماعة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحضور إليها وأكد ذلك ولم يعذر حتى الأعمى الذي ليس له قائد بقوله حينما استأذنه في التخلف عن حضور الجماعة قال له هل تسمع النداء قال نعم قال عليه الصلاة والسلام أجب لا أجد لك رخصة.

إن الناس في هذا الزمان أكثرهم في نقص عظيم شديد من دينهم عامة وفي صلاتهم خاصة وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وقال عليه الصلاة والسلام (الصلاة نور من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف) وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفر وفيه نكتة بديعة وهوان تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغلته عنها رياسته فهو مع هامان ومن شغلته عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف (١).

فرض الله تعالى علينا الصلوات الخمس وأوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة في بيوت الله وأكدها فالاجتماع لواجب كهذا واحد والاتجاه واحد والمتجه إليه المعبود واحد لا بد أن تتحد فيه القلوب وتتصافر وتتعاون على الخير وتكون الأمة بسبب ذلك قوية متماسكة يشد بعضها بعضا يسرون جميعا بسرور أحدهم ويستاءون مما يسوء البعض منهم فمع ما في أداء هذا الركن من الدين من أجر وسعادة يحصل الخير وتكون القوة إذا فأدائها جماعة للقادر على ذلك أمر لا بد منه.

(١) المصدر السابق وكتاب الكبائر للذهبي ص ٢٠.

قد يقول الواحد منا ما دمت قد صليت وأديت الفريضة فلا علي أن أحضر الجماعة وأوديتها معهم قد يقول ذلك ولكنه نسي ما يحصل له من الأجر وما يجنيه من الفوائد والخيرات من الاجتماع مع إخوانه في بيت الله يؤدون العبادة لله متجهين إليه منتظمين على أحسن هيئة وأشرفها فالمتخلف عن هذا الاجتماع قَصَّر في أداء ما فرض الله عليه ولم يؤدها كاملة فالأجر ناقص والامتنال غير تام وتأخره عن الجماعة يجعله يتأخر عن أداء الصلاة في وقتها و يدخل وقت الثانية وهو لم يؤد الأولى فلو حافظ على الجماعة لما أخرها عن وقتها وجاء في الحديث أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة فإن تقبلت تقبل منه سائر عمله وإن ردت صلاته رد سائر عمله وإن أول فريضة فرضت في الإسلام الصلاة وآخر ما يفقد من دينكم الصلاة جعلني الله وإياكم ممن يحافظون على الصلاة في أوقاتها و يؤدونها بتمامها صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فصل

في وجوب الطمأنينة في صلاة التراويح وغيرها من الصلوات (*)

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله أما بعد اعلموا وفقني الله وإياكم أن التراويح من أعلام الدين الظاهرة وأنها سنة مؤكدة أجمع المسلمون عليها وفعل الصحابة لها مشهور، تلقته الأمة عنهم خلفاً بعد سلف وأول من جمعهم على هذه الكيفية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى مالك رحمه الله عن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمن عمر رضي الله عنه في رمضان بثلاث وعشرين ركعة (١) وهذا في مضنة الشهرة بحضرة من الصحابة، فكان اجماعاً، مع أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه ليالي ثم تركها خشية أن تفرض، كما في المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، ولم ينكرها إلا أهل البدع من الرافضة وغيرهم، ولهذا يذكرونها أهل السنة والجماعة في عقائدهم، إذا تقرر هذا فغير خاف ما وردت به السنة من فضل قيام رمضان والترغيب فيه، وما يترتب على ذلك من الأجر والثواب ولكن ينبغي أن يعلم أن الصلاة والقيام بل وسائر الأعمال حقيقة هي التي تقع على الوجه الشرعي الذي أمر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وما سوى ذلك فإن العبد لا يثاب عليه بل قد يعاقب، وبعض الإخوان وفقنا الله وإياهم للصواب لا يطمئن في هذه العبادة ويسرع فيها سرعة تخل بالمقصود. وهذا أمر لا يجوز، لأن العبد يطلب ثواب الله في هذه العبادة، والله تبارك وتعالى لا يتقرب إليه إلا بما يحب ويرضى، وقد قال عز وجل: «وأقيموا الصلاة» في غير ما آية وقال: «الذين يقيمون الصلاة» وقال: «وأقم الصلاة» وقال: «والمقيمون الصلاة» وقال الخليل عليه السلام «رب اجعلني مقيم الصلاة» والآيات في هذا كثيرة، ولا تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقروناً بإقامتها، وإقامتها هو الإتيان بها قائمة تامة، القيام، الركوع، والسجود، (١) وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ما زاد في رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة وليس فيها حد محدود ولكن

الأفضل كفعله صلى الله عليه وسلم.

(٥) للشيخ صالح بن أحمد الحريصي.

والإذكار، وهذا لا يحصل مع هذه العجلة، وقد علق الله تبارك وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر وكلما زادت العجلة قل خشوع المصلي، حتى تصير هذه العبادة بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا إقبال عليها، أفلا يتصور صاحب هذه الصلاة أنها معروضة على الله عز وجل، فلا يأمن أن تلف كما يلف الثوب الخلق و يضرب بها وجهه، وربما ظن بعض الناس أن التراويح تطوع ولا يلزم اتمام الركوع والسجود والاعتدالين فيها، وهذا غلط ممن ظنه كما نبه عليه الإمام أحمد رحمه الله في الرسالة، لأنه لما دخل في هذه العبادة وجب عليه اتمامها، وإكمالها، وإحكامها، وقد نفى صلى الله عليه وسلم اسم الصلاة وحقيقتها عن المسيء في صلاته، حيث كانت خالية من الطمأنينة فقال ارجع فصل إنك لم تصل، وقد صلى صلاة ذات قيام وركوع وسجود واعتدالين ولكن لما أخل بالطمأنينة خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فإنك لم تصل، فاحذر أيها المصلي كصلاة المسيء أن تكون كذلك، وقد سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله عن العجلة في صلاة التراويح، فأجاب رحمه الله، قولك إن الإمام إذا استعجل صلى معه أكثر الناس، وإذا طمأن لم يصل معه إلا القليل، فإن الشيطان له غرض ويحرص على ترك العمل، فإن عجز عن ذلك سعى فيما يبطل العمل وكثير من الأئمة في البلدان يفعل في التراويح فعل أهل الجاهلية ويصلون صلاة ما يعقلونها ولا يطمنون في الركوع والسجود، والطمأنينة ركن لا تصح الصلاة إلا بها، والمطلوب في الصلاة حضور القلب بين يدي الله عز وجل واتعاضه بكلام الله إذا تلي عليه إلى آخر كلامه رحمه الله^(١) وكلام الشيخ هذا هو الواقع فيه كثير من الأئمة عصمنا الله وإياهم. فيا أيها الإخوان انتبهوا لما أشرت إليه في هذه الكلمة ولا يكن حظي القول وحظكم الاستماع فقط دون العمل واعلموا أن التراويح سميت بذلك لأن السلف كانوا يتروحون بعد كل أربع ركعات أي يستريحون من طول القيام وأنهم كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام وهذا لا مطمع فيه ولكن الذي ينبغي للعاقل اللبيب الناصح لنفسه الذي يريد نجاتها غدا أن يتقي الله في أموره عامة وفي هذه العبادة خاصة فرضها

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٨٦/٤.

ونفلها التي أصبحت مضماراً لبعض الناس يحرص كل الحرص على أن يسبق غيره في الخروج وليس السابق في الحقيقة من خرج قبل الناس إنما السابق من قام بما أمر به وحصلت له مغفرة ربه كما قال تعالى: «**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**» وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند الانصراف من عرفة [ليس السابق من سبق به غيره إنما السابق من غفر له] فاتقوا الله عباد الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، هذا وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهدينا واخواننا صراطه المستقيم إنه جواد كريم رؤوف رحيم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الثامن في فضائل شهر رمضان (*)

الحمد لله الذي خص شهر رمضان بالفضل والإحسان. وجعله موسماً لنيل العفو والغفران. أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان أحده على نعمه التي لا تزال تتوالى على العباد في كل زمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجب على العباد صوم شهر رمضان. ليضاعف لهم الأجور ويغفر لهم الذنوب والعصيان وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان يخص شهر رمضان بمزيد طاعات من صلاة وتلاوة قرآن وصدقة وإحسان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقبت الشهور وتوالى الأزمان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله واسمعوا ما ورد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في بيان فضائل شهر رمضان: عن سلمان رضى الله عنه قال (خطبنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في آخر يوم من شعبان فقال: (يا أيها الناس قد أظلمكم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً. من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ومن فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً) قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطره الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء ومن سقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار) حتى يدخل الجنة) وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة. وآخره عتق من النار. فاستكثروا

(هـ) من خطب الشيخ صالح الفوزان ٨٣/٢.

فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار) رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أظلمكم شهركم هذا بمحلول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مر بالمسلمين شهر خير لهم منه ولا مر بالمنافقين شهر شر لهم منه) (١).

أيها المسلمون: اشكروا الله إذ بلغكم رمضان وسلوه الإعانة على فعل الخيرات وتقديم الطاعات وأن يتقبل منكم صيامكم وقيامكم ويغفر لكم سيئاتكم واعملوا أوقاته بالأعمال الصالحة: فإنها هي التجارة الرباحة فإن ربكم قد أتاح لكم الفرصة وأعطاكم المهلة ومكنكم من العمل الذي ينفعكم فلا تضيعوا هذا الشهر باللغو والغفلة والإقبال على طلب الدنيا.

فإن بعض الناس لا يعرف من شهر رمضان إلا أنه وقت للتفنن في المأكولات والمشروبات فيشغلون ليله بالأكل والشرب والسهر على القيل والقال والمزاح والضحك ويضيعون نهاره بالنوم والكسل. فلم يزداهم رمضان إلا رغبة في الأكل وحرصاً على النوم، وصنف آخر من الناس يشغلون في رمضان بالبيع والشراء وطلب الدنيا لأن حركة الأسواق تزيد في رمضان فينتهزونه فرصة لطلب الدنيا — إننا لا نطلب من هؤلاء أن يغلقوا دكاكينهم ويعطلوا الأسباب ولكن نريد منهم أن لا يصرفوا كل الوقت لطلب الدنيا. وإنما يأخذون من ذلك بقدر لا يطغى على طلب الآخرة ويفوت مواسم العبادة. فقد كان السلف يتفرغون في رمضان حتى من طلب العلم. ويقبلون على الصلاة والتلاوة والذكر.

أيها المسلمون: حافظوا على صيامكم مما يخل به أو يفسده من الأعمال السيئة والأقوال

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه وغيره.

الآثمة فاحفظوا أسماعكم عن سماع ما حرم الله من الأغاني وقول الزور والغيبة والنميمة. واحفظوا أبصاركم عن رؤية ما حرم الله عليكم من المناظر الفاتنة. فإن النظر سهم مسموم من سهام إبليس واحفظوا ألسنتكم من قول الزور وشهادة الزور والغيبة والنميمة والشتم والسباب. فإن سبابك أحد فلا ترد عليه بالمثل بل قل إني صائم. فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فقط بل هو إمساك كذلك عن كل ما حرم الله.

أيها المسلمون: عليكم بتلاوة القرآن العظيم في هذا الشهر العظيم اقتداء بنبيكم صلى الله عليه وسلم فقد كان يلقاه جبريل فيدارسه القرآن في شهر رمضان وكان السلف الصالح يكثر من تلاوة القرآن في هذا الشهر وأخبارهم في ذلك مشهورة.

ذلكم يا عباد الله لما لهذا الشهر من خاصية بالقرآن على غيره من الشهور قال تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» (١) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها) (٢) ولتكن تلاوتكم للقرآن بتدبر وخشوع وحضور قلب وترتيل لآياته وحسنوا أصواتكم بالتلفظ به ما استطعتم أقرأوه في المسجد والبيوت أكثر من تلاوته وترديده فإنه لا يخلق عن كثرة الرد ولا تفنى عجائبه. وألزموا أولادكم بتلاوته وتفقدوهم في ذلك وشجعوهم بالجوائز التي تشجعهم على تلاوته ولا تتركوهم يهيمون في الشوارع ويضيعون الأوقات في اللعب. فإنهم يشبون على ما عودتموهم فيا أيها المسلم يا من من الله عليك بحفظ كتابه العظيم اشكره على هذه النعمة العظيمة وداوم على تلاوته وتعاذه ولا سيما في هذا الشهر المبارك تلذذ بألفاظه وتفكر في معانيه فلا أحلى من كلام الله.

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أيها المسلمون: لا زموا صلاة التراويح ولا تفرطوا فيها فإن ثوابها عظيم. روى الإمام أحمد والترمذي وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) وقال صلى الله عليه وسلم: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه والتراويح سنة مؤكدة وفعل الصحابة لها مشهور وتلقته الأمة بالقبول خلفاً بعد سلف. فاحرصوا عليها ولا تتكاسلوا عنها فإنكم بأشد الحاجة إليها لعل الله أن يكتبكم مع الصائمين القائمين...

أيها المسلمون: استقبلوا شهركم بارك الله لكم فيه بالتوبة والفرح بإداركه واجتهدوا في استغلال أوقاته الشريفة بما ينفعكم «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» (١) اجعلوه منطلقاً لكم من أسر الشهوات والغفلة إلى نور الطاعة والتقوى لعله يكون منبهاً لكم على تفريطكم فيما مضى لتستدركوا ما تبقى من أعماركم فإنه ليس لكم من أعماركم إلا ما عمرتموه بالطاعة وما ضيعتموه فإنه يكون حسرة عليكم.

أيها المسلمون: هذا شهر البركات، هذا شهر الخيرات، هذا شهر الرحمة والمغفرة والعشق من النيران — هذا شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. فبين أيديكم شهر كريم وموسم عظيم قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداع إذا دعان فليستجيوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون(١) وبالله التوفيق وصلى
الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة البقرة ١٨٣ — ١٨٦.

فصل

في المقصود من الصيام

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» (١) يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهم بالصيام. وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل، فقال: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» ومعنى كُتِبَ: فُرض، فإن الله تعالى فرض صيام رمضان على أمة الإسلام فالصوم هو الإمساك عن أشياء مخصوصة بنية في زمن معين من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. (٢).

صوم رمضان أحد أركان الإسلام وفروضه، وهو الركن الرابع فُرض في السنة الثانية من الهجرة. فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات.

ولما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطمها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد بطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تركوا به مما فيه حياتها الأبدية ويكسر الجوع والظمأ من حداثها وسورتها. ويذكرها الأكباد الجائعة من المساكين ويضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب وحبس قوى النفس عن استرسالها فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماعه، وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين، وجَنَّة المجاهدين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال: فإن الصائم إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارة لمحبة الله ومرضاته. وهو سر بين العبد وربه. والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة. وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهواته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصيام. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة فالصوم يحفظ على

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٣١.

القلب والجوارح صحتها. ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر
العون على التقوى.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة
شرعه الله لعباده رحمة لهم وإحساناً إليهم، والصوم شاق على النفوس لأنها به تنفطم عن
الشهوات. ويباعد بينها وبين الملهذات فلاجل ذلك تأخر فرضة إلى وسط الإسلام
لتنقل النفوس إليه بالتدريج (١) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله
وأصحابه أجمعين.

(١) انظر زاد المعاد. في هدي خير العباد ٢٨/٢ بتحقيق الأرنؤوط.

الباب التاسع

في خصائص شهر رمضان المبارك

الحمد لله — يخلق ما يشاء ويختار وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار — صلى الله عليه وسلم — وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار صلاة وسلاماً دائماً متعاقبين بتعاقب الليل والنهار، أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واشكروه إن الله سبحانه بعلمه المحيط بكل شيء وبحكمته لبالغة يختار ما يشاء من مخلوقاته فيفضل بعضها على بعض. ويفضل بعض البشر وبعض الأمكنة والأزمنة على بعض ومن ذلك تفضيله شهر رمضان على غيره من الشهور. قال تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» وقد فصل النبي — صلى الله عليه وسلم — خصائص هذا الشهر في الحديث الذي رواه ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في آخر يوم من شعبان فقال: (أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك. شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق. ومن فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً) قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطره الصائم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء ومن سقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظلم بعدها أبداً حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. فاستكثروا فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما.

أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

أيها المسلمون: في هذا الحديث الشريف بيان خصائص هذا الشهر المبارك فقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شهر عظيم مبارك وهذان الوصفان يظفيان عليه ميزة خاصة على غيره من الشهور فكل لحظة من هذا الشهر تتصف بالعظمة والبركة. بركة في الوقت، وبركة في العمل، وبركة في الجزاء وأخبر — صلى الله عليه وسلم — أن فيه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر — فمن مزايا هذا الشهر اشتماله على هذه الليلة العظيمة التي لا توجد في غيره تلكم الليلة التي وصفت في القرآن بأوصاف عظيمة. فهي الليلة التي أنزل فيها القرآن كما قال تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر»^(١) وقد صح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في ليلة القدر. وهي (خير من ألف شهر) أى العمل فيها خير من العمل في ألف شهر. وهي ليلة مباركة كما في قوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة»^(٢) وهي ليلة تنزل فيها الملائكة بالخيريات كما قال تعالى: «تنزل الملائكة والروح فيها»^(٣) وهي الليلة التي يجري فيها التقدير السنوي كما قال تعالى: «فيها يفرق كل أمر حكيم»^(٤) وهي ليلة سلام كلها كما قال تعالى: «سلام هي حتى مطلع الفجر»^(٥) فهذه الليلة العظيمة بخيراتها وبركاتها هي من جملة خصائص شهر رمضان المبارك.

ومن خصائصه التي بينها — صلى الله عليه وسلم — في هذا الحديث افتراض صيام نهاره واستحباب قيام ليله فصيام نهاره أحد أركان الإسلام فامتاز على غيره باشتماله على أحد أركان الإسلام واشتمال ليله على صلاة التراويح التي هي من آكد السنن ولا تشرع في غيره من الشهور.

(١) (٣) (٥) سورة القدر آية ١ — ٥.

(٢) (٤) سورة الدخان آية ٣ — ٤.

ومن الخصائص التي بينها هذا الحديث لهذا الشهر المبارك كثرة مضاعفة الحسنات فيه فالسنن تكون بمنزلة الفرائض في الأجر والفريضة الواحدة فيه تعادل في الأجر سبعين فريضة في غيره ولم يرد مثل هذا التضعيف في غيره من الشهور.

ومن خصائصه: أنه شهر الصبر — أى حبس النفس عن شهواتها بالصيام وتحملها مشقة الطاعة والبعد عن مألفها والصبر من أشق الطاعات على النفوس ولهذا صار ثوابه الجنة. وقال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (١).

ومن خصائص هذا الشهر أنه شهر الجود — الجود من الباري جل وعلا على عباده بالمغفرة والاعتاق من النار والجود من العباد بعضهم على بعض بالمواساة وإطعام الجائع وسقي الظمآن وتفتير الصائم والرفق بالمملوك.

ومن خصائصه: أنه شهر التراحم بين العباد ونزول الرحمة عليهم من الرحمن فالغني يرحم الفقير والقوي يرحم الضعيف والمالك يرحم المملوك والراحمون يرحمهم الرحمن. ومن خصائص هذا الشهر تنوع الخيرات فيه فأوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

عباد الله: جدير بشهر هذه أوصافه وخصائصه أن يُفَرَّحَ بقدومه. ولهذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يدعو الله أن يبلغه رمضان فكان — صلى الله عليه وسلم — إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان وذلك لما يعلمونه فيه من الخيرات وما يعلمونه فيه من الطاعات (*).

اللهم بلغنا رمضان. وأعنا على الطاعة في رمضان وتقبل منا رمضان. اللهم اجعلنا ممن صامه وقامه إيماناً واحتساباً فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) سورة الزمر آية ١٠.

(٥) من خطب الدكتور صالح الفوزان ٧٩/١.

فصل

في ثواب صيام شهر رمضان

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) رواه البخاري ومسلم.

ولهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي رواية للنسائي: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ: كفر ما قبله) رواه ابن حبان والبيهقي. وقوله في حديث أبي هريرة: (إيماناً واحتساباً) أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه، غير كاره ولا مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. فعليكم عباد الله بإخلاص الصيام، والقيام بحقوق الملك العلام. وأدوموا له الصيام والقيام. وبادروا أوقات الفضائل بالاغتنام واتبعوا هدي نبيكم عليه الصلاة والسلام.

فصل

في أسباب مضاعفة الأجر للأعمال

قال الله تعالى: «كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية» (١) قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية في الصائمين. وذلك أنه إذا كان يوم القيامة وبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يعلمه إلا الله من العطش والجوع والحرقيل للصائمين ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث دليل على استثناء الصوم من سائر الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه سمي شهر رمضان شهر الصبر) وفي هذا حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال: (الصوم نصف الصبر) أخرجه الترمذي.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله وصبر عن محارم الله وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه ولا يضيع عنه شيء بل يكتب له بكل خصلة عمل صالح. وفي حديث سلمان المرفوع المتقدم في

(١) الحاققة آية ٢٤.

فضل شهر رمضان (وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) وفي الطبراني مرفوعاً «الصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل».

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم. ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» وكذلك روي أن الصيام يضاعف بالحرم.

ومنها: شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وفي حديث سلمان الفارسي المرفوع الذي أشرنا إليه في فضل شهر رمضان «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» وفي الترمذي عن أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الصدقة أفضل قال: (صدقة في رمضان) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عمرة في رمضان تعدل بحجة — أو قال حجة معي».

فلما كان الصيام في نفسه مضاعفاً أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفاً على سائر الصيام لشرف زمانه. وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها^(١).
وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٥٨ - ١٥٩.

الباب العاشر

في لوازم الصوم وفوائده (١)

الحمد لله الذي فرض صيام شهر رمضان وأجزل الأجر والثواب لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المبين «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» البقرة آية (١٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جُنَّةٌ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله اعلموا أن الله سبحانه وتعالى فرض الصيام على الأمة الإسلامية كما فرضه على الأمم قبلها من لدن آدم عليه السلام فالصيام عبادة قديمة لم يترك الله تعالى أمة من الأمم إلا فرضها عليهم ذلك لما للصوم من الأثر العظيم في تربية النفوس وتهذيبها وإيقافها عند حد الاعتدال فإنه ليس المقصود من الصيام مجرد الامتناع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات بل المقصود منه حبس النفس عن الاسترسال في الشهوات وفضائها عن ما تميل إليه من المأكولات والمألوفات واعدادها لتقوى الله تعالى وتهيئتها لتحمل مشاق التكاليف وترغيبها في الرحمة بالفقراء والعطف على المساكين.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص ٥٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله اعلّموا أن الله سبحانه وتعالى من حكمته أن جعل الصوم أمراً موكولاً إلى نفس الصائم وسراً بين العبد وربّه لا يطلع عليه أحداً سواه ليعلم الناس كيف يراقبونه سبحانه في حركاتهم وسكناتهم وخلواتهم واجتماعاتهم فإن الإنسان إذا ترك ألد الأشياء إليه وأحبها لديه مع قدرته عليها وتمكّنه منها لمجرد الامتثال لأمر ربّه والخضوع لإرشاد نبيه عليه الصلاة والسلام رسخت ملكة مراقبة الله تعالى في نفسه واشتد حياؤه من أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه ما يعد النفوس ويؤهلها للسعادة في الحياتين والفوز بالحسينين.

فيا عباد الله اعلّموا أنه من لوازم هذا الصوم الذي تتحقق به مراقبة الله تعالى أن يستعمل الصائم أعضاءه وجوارحه فيما خصصت له وخلقت من أجله فيمسك لسانه عن الكذب واللغو والهذيان واليمين الفاجرة والفحش والغيبة والنميمة والمراءاة والخصومة ويشعر قلبه الخوف من الحساب على كل كلمة تجري على لسانه متذكراً قول الله تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» في آية (١٨) من سورة ق.

وقوله صلى الله عليه وسلم (الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة) وقوله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ شتمه فليقل إنني صائم) ويصون كذلك أذنه عن سماع ما يحرم التكلم به فإن كل ما يحرم قوله يحرم سماعه ويصون عينه عن النظر إلى كل ما يذم ويكره، ويشغل القلب عن ذكر الله تعالى فإن النظر يثير الشهوة للنفس وقد ينتهي بصاحبه إلى مطاوعة الهوى والوقوع في المعصية ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله عز

وجل عوضه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه. رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة
ويكف كذلك سائر الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن اقتراف الآثام وارتكاب
الحرام فيكون بذلك قد حقق المقصود من الصيام الذي أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله
«لعلكم تتقون».

أي تجعلون بينكم وبين المعاصي والمنكرات وقاية وحصناً بالصيام، ومن لوازم هذا
الصوم أن لا يستكثر الصائم وقت الإفطار من ألوان الطعام وأصناف الشراب يملأ بها
جوفه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه.

فيا عباد الله اعلّموا أن من فوائد الصوم صحة البدن ودفع الأمراض عن الإنسان فإن
سببها في الغالب كثرة الأكل والشرب وحصول فضلة الأخلاط في المعدة وناهيك مما
يترتب على المرضى من تشويش الفكر واشتغال القلب وتنغيص العيش ومقاساة الآلام
الشديدة وعدم القدرة على أداء الفرائض وغير ذلك.

فيا عباد الله اعلّموا أنه بالصوم تزكو النفوس وتصح الأجسام وتعتاد الصبر وتقوى
على حفظ الأمانة وعدم الخيانة وتقوى على تحمل المشاق. بالصوم يعرف العبد نعم الله
تعالى عليه فيعطف على الفقير فيبادر إلى سد حاجاته ومواساته وتخفيف آلام الفقر عنه.

فيا عباد الله صوموا رمضان مخلصين لله عز وجل وطهروا قلوبكم من دنس الحسد
ودرن الأحقاد وعطروا ألسنتكم بتلاوة القرآن الكريم وترك الغيبة والنميمة والكلام
فيما لا ينبغي ولا ينبغي وأشعروا قلوبكم الرأفة وعودوا نفوسكم الأمانة وحفظ العهد
والوعد.

فيا عباد الله اعلّموا أن الله عز وجل يخص ما شاء بما يشاء ورب عمل قليل خير من
عمل كثير ولا شك أن العمل القليل قد يُفْضَل الكثير باعتبار الزمان والمكان وكيفية
الأداء كصلاة واحدة مثلاً أديت بجماعة فإنها تفضل خمساً وعشرين مرة صلاة مثلها
أديت على الانفراد ولا حرج على الله سبحانه وتعالى ولا يعلم ما عنده إلا هو جل شأنه

فقد جعل عبادة ليلة واحدة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كليلة القدر مثلاً أكثر ثواباً من عبادة ألف شهر في شرائع الأمم الماضية وإن شاء الله تعالى اختار الساعات فاختار أوقات الصلاة واختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار شهر رمضان واختار الليالي فاختار ليلة القدر فهي أفضل ليلة في أفضل شهر وإنما فضل شهر رمضان على غيره لأنه أنزل فيه القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا وصار ظاهراً للملائكة ثم كان ينزل بعد ذلك على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم متفرقاً على حسب مقتضيات الأحوال.

فيا عباد الله اعلموا أن الله تعالى فضل شهر رمضان بليلة القدر فهو أفضل شهور العام وأفضله عشره الأخيرة فيها ليلة مباركة (فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين) ليلة القدر هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم خيراً كثيراً ولا يحرم خيرها إلا محروم. جاء في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الأمم الماضية فعوضهم الله بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فاحيوا رحمكم الله هذه العشر المباركة بالقيام والذكر والصلاة والتسبيح واسألوا ربكم المغفرة والعق من النار.

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله لا تكونوا كالذين نسوا الله فتركوا عبادته ولم يعملوا ما أمرهم به ولم يجتنبوا ما نهاهم عنه وأفرطوا في ارتكاب المنكرات واتباع الشهوات فأنساهم أن يسعوا لتخليص أنفسهم من العذاب أولئك هم الخاسرون الخارجون عن طاعة الله تعالى المطرودون من رحمته نسألك اللهم العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الحادي عشر

ما جاء في العشر الأوسط من شهر رمضان

وفضل الإنفاق والجود

قال الله تعالى: «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم»^(١) هذا حث من الله تعالى لعباده على الإنفاق في سبيله وطرق الخيرات ليضاعف لهم الأجور.

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة) رواه ابن أبي حاتم وكان جود النبي صلى الله عليه وسلم يتضاعف في رمضان، وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان قد أهدي إليه شملة فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه إياها، فلامه الناس، وقالوا: كان محتاجاً إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إنما سألتها لتكون كفني، فكانت كفنه. وكان قد أتاه مرة سبى فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤونة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال «لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وكان جوده يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضاً؟ فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة (٢).

(١) سورة الحديد آية ١٠.

(٢) انظر لطائف المعارف ص ١٧٣ - ١٧٥.

فصلى الله وملائكته ورسله وأنبيأؤه على هذا النبي الكريم، والرسول المصطفى بالفضل والتكريم.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «لما نزلت «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له» قال أبو الدحداح الأنصاري يا رسول الله إن الله ليريد منا القرض؟ قال نعم يا أبا الدحداح، قال أرني يدك يا رسول الله، قال فناوله يده، قال فيأني أقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها، يا أم الدحداح. قالت: لبيك، قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل، فقالت ربح بيعك يا أبا الدحداح، ونقلت منه متاعها وصبيانها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رب نخلة مدلاة عرووقها درو يا قوت لأبي الدحداح في الجنة^(١).

وعن أنس قال «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء. وكانت مستقبلاً المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وإن أحب أموالي إلى بيرحاء، وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بخ بخ ذاك مال رايح) متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينتفع به المسكين ثلاثة الجنة: رب البيت الأمر به، والزوجة تصلحه، والخدام الذي يناول المسكين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي لم ينس خدمنا) رواه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٩٩/١.

وقال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) (١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج في صبيحتها من اعتكافه، قال من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الآخر، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها) فهذا يدل على أنه كان يعتكف العشر الأوسط من شهر رمضان لابتغاء ليلة القدر فيه، وهذا يدل على أن ذلك قبل أن يتبين له أنها في العشر الآخر، ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الآخر.

وقال صلى الله عليه وسلم في فضل شهر رمضان (وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) فالغالب على أوسطه المغفرة، فيغفر للصائمين فيه، وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر، فلا يمنعهم من المغفرة كما قال الله تعالى: «وإن ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم» فينبغي للعبد أن يطلب أسباب المغفرة.

فيا إخواني: إنه قد مضى من شهركم عشره الأول ولها أنتم في أوسطه فاحذروا من الزيف والزلل، وتصدقوا يضاعف الله لكم العمل، و يقيكم هول الوقوف وما فيه من الخجل وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثاني عشر

في فضل قيام رمضان وتلاوة القرآن

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه، ولهما عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (خرج ليلة فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (١) فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضى الله عنهما.

قال عبد الرحمن بن عبد القاري: [خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون إلیها يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله] (٢).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

اعلم أن صلاة التراويح سنة مؤكدة في رمضان سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست محدثة لعمر، بل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم تركها خشية أن تفترض، وهي من أعلام الدين الظاهرة، سميت بذلك لأنهم كانوا يجلسون بعد كل أربع ركعات يستريحون. ذكر ذلك علماء المذهب وفعلها جماعة أفضل كما جعل عمر أبي بن كعب إماماً، وكما جعل عليّ للرجال إماماً وللنساء إماماً فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها.

فعن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع أهله وأصحابه وقال: (إن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) رواه أحمد وصححه الترمذي، ووقتها بعد صلاة العشاء الآخرة وستتأخر وينتدؤها أول ليلة من شهر رمضان ويقرأ في كل ليلة ما تيسر إلى أن يختم القرآن في بعض الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر اغتناما للقبول، فهذه عادة السلف رحمة الله تعالى عليهم، فمن أمكنه أن يقتدي بهم في ذلك فليشمر ولا يقصر، فإن الخير غنيمة «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» (١) ثم إنه ينبغي للإمام أن يراعي صلاته وليحذر من التخفيف المفرط الذي يعتاده كثير من الجهلة في صلاتهم للتراويح، حتى ربما يقعون بسببه في الإخلال بشيء من الواجبات، مثل ترك الطمأنينة في الركوع والسجود، وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذي لا بد منه بسبب العجلة، فيصير أحدهم عند الله لا هو صلى ففاز بالشواب ولا هو ترك فاعترف بتقصيره وسلم من الإعجاب، فاحذروا من ذلك وتنبهوا له يا معشر الإخوان، وإذا صليتم التراويح وغيرها من الصلوات فأتوا القيام والقراءة والركوع والسجود والأركان، ولازموا الخشوع والحضور والآداب ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطاناً. ذكر معنى ذلك في النصائح الدينية (٢) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

(٢) انظر النصائح الدينية ص ٣٨.

فصل

في فضل تلاوة القرآن

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء» رواه ابن حبان في حديث طويل (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فسمعه جاره فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل) رواه البخاري.

وعنه أيضاً: قال قال رسول صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلى، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت في النار) رواه مسلم وابن ماجه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

اعلم أن قراءة القرآن أشرف الأذكار، لأن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. فاللائق بالصائم أن يكون شعاره تلاوة القرآن. وقد كان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً.

وكان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن: أنه كان يرتله ولا يَهْدُهُ هَذَا ولا عجلة، بل قراءة بمفسرة حرفاً حرفاً. وكان يَقَطِّعُ قراءته آية آية، كان يمد عند حروف

(٢) الترغيب والترهيب ٩/٣ كتاب قراءة القرآن حديث رقم ١٠.

المد، فيمد الرحمن، ويمد الرحيم وكان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته فيقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وربما كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه) وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومتوضئاً ومحدثاً ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة. وكان يستمع لقراءة أصحابه، كما أمر عبد الله بن مسعود فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه وكذلك استمع لقراءة أبي موسى الأشعري^(١).
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) انظر هدى النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن في زاد المعاد لابن القيم ٨٢/١.

الباب الثالث عشر

في آداب الصيام وفوائده

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» (١).

هذا أمر من الله جل جلاله لعباده أن يتقوه فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب. ويجل ويعظم ويرجى ويخاف من بطشه وعقابه، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، والتقوى: هي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، وكرر التقوى زيادة على التحريض لها، وفي القرآن والسنة من الأمر بالتقوى والوصية بها ومدح أهلها ما في بعضه كفاية لمن وفقه الله، والتقوى وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله» (٢).

فالواجب على الصائم إذا صام: أن يتقي الله، ويحفظ صيامه عما لا يليق من اللغو والرفث والشتم والغيبة والنميمة والكذب، فإن الله تعالى قال في حق الصائم: «إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي» وذلك أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح، وهذه أعظم شهوات النفس، وفي التقرب بتركها بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسى القلب ويعميه، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر، ويستدعى الغفلة. وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رفته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر.

ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بأقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من

(١) سورة الحشر آية ١٨.

(٢) سورة النساء آية ١٣١.

فضول الطعام والشراب وغير ذلك فإنه إذا قاسى الجوع عرف قدر النعمة، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فبالصيام تنكسر سورة الشيطان وسورة الشهوة والغضب فهذه بعض فوائد الصوم (١).

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله عليه في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فهذه الأمور حرام وفي حق الصائم أشد حرمة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخاري. وفي حديث آخر (ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث) قال أبو موسى المديني: على شرط مسلم.

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك و يوم فطرك سواء قال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع منى تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظما فإن قلت: إني صمت يومي فما صمت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر) (٢) وسر هذا أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات، ثم تقرب إلى الله

(١) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٦٣.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري.

تعالى بترك المباحات، كان بمثابة من يترك الفرائض و يتقرب بالنوافل، وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور، بحيث لا يؤمر بإعادته.

وفي مسند الإمام احمد وسنن أبي داود وغيرهما عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا، وأن رجلاً قال: يا رسول الله إن ههنا امرأتين قد صامتا، وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش. فذكر الحديث ثم قال: (إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس).

وقال صلى الله عليه وسلم: (الصيام جنة ما لم يخرقها - وفي بعض ألفاظ الحديث - قيل بم يخرقها؟ قال بكذب أو غيبة) رواه النسائي والطبراني عن أبي عبيدة.

وقال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم) (١) فهذه الأحاديث فيها الأمر بصيانة الصوم عما يجرحه.

ومن آداب الصيام أن تصوم الجوارح عما حرم الله عليها فتصوم الأذن عن الاستماع للغو والكذب والغيبة، وتصوم العين عن النظر إلى الحرام، وما حظر الشرع النظر إليه، كالنساء الأجنبية والمُردان، فزنا العين النظر، وهوسهم مسموم من سهام إبليس، ويصوم اللسان عن الكلام القبيح كما تقدم.

ومن آداب الصائم: تأخير السحور، وتعجيل الفطر إذا تحقق الغروب. ومن آدابه: كثرة قراءة القرآن، وألا يكثُر الأكل بالليل والنوم بالنهار بل يقتصد، فإذا سمعت ما ذكرنا عن المرأتين. وأنهما صامتا عما أحل الله وأفطرتا على ما حرم الله وذلك أنهما كانتا تغتابان الناس، فأحرص على الحلال ولا يكن يوم صومك و يوم فطرك سواء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فصل

في فضل الكرم والجود في شهر رمضان

قال الله تعالى: «فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(١) يقول الله تبارك وتعالى آمراً العباد بأن يتقوه جهدهم وطاقتهم «(فاتقوا الله ما استطعتم)» وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)^(٢) وكان الصحابة لما سمعوا قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته» قاموا حتى ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله هذه الآية تخفيفاً على المسلمين. ثم حث الله تعالى المؤمنين على السمع والطاعة لأوامره وترك نواهيه، ثم قال: «وأنفقوا خيراً لأنفسكم» أي: ابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات. ثم قال «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(٣).

أخرج أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم) رواه مسلم في صحيحه. وكان عبد الرحمن بن عوف يطوف بالبيت ويقول: [اللهم قني شح نفسي]. لا يزيد على ذلك.

وقال صلى الله عليه وسلم (بريء من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف وأعطى في النائة) رواه ابن جرير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها. ثم نظر إليها فقال لها:

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/٣٧٦ - ٣٧٧.

تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل»
رواه الطبراني بسند جيد. وقال ابن أبي الدنيا في آخر رواياته ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

وفي الصحيحين عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال: [كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة] وأخرجه الإمام أحمد بزيادة في آخره وهي (لا يسأل عن شيء إلا أعطاه).
الجود هو سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود.

وفي الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم).

فالله سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان، وفيه أنزل الله قوله: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان».

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره (أنه ينادي فيه مناد: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر. والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة).

ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ذكره مالك عن أبي هريرة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم.

وكان جوده بجميع أنواع الجود: من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم. ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال منذ نشأ، ولهذا قالت خديجة في أول مبعثه لما رأى شيئا أزعجه، وذلك في أوائل

النبوة. وقال لها: لقد خفت على نفسي فقالت: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة.

ففي الصحيحين عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس) وفي صحيح مسلم عنه قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة) وفي رواية: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاه إياها فأثنى قومه فقال يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً ما يخاف الفقر.

قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. وفيه أيضاً عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لمن أبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة. وفي مغازي الواقدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءاً إبلًا وغنماً. فقال صفوان (أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي).

وفي الصحيحين عن جابر بن مطعم (أن الأعراب علقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً).

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فصل

قال الله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» (١) هذا مدح لأهل الايثار الذين يقدمون الفقراء والمحاويج بإيثارهم على أنفسهم ولو كانوا هم أهل حاجة. وهذه الآية نزلت في الأنصار رضى الله عنهم وقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يتضاعف جوده في شهر رمضان وفي ذلك فوائد.

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه ففي الترمذي عن أنس مرفوعاً (أفضل الصدقة صدقة في رمضان).

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجورهم كما أن من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله فقد غزا. وفي حديث زيد بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء) أخرجه أحمد، وزاد الطبراني من حديث عائشة (وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه) أي أجر وثواب.

وتقدم حديث سلمان وفيه (وهو شهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة) رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه (٢). وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(٢) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٧٦ - ١٧٨.

(١) سورة الحشر آية ٩.

من فضائل القرآن

قال الله تعالى: «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل: آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً، ويقولون: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان ليكونوا يزيدهم خشوعاً» (١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) متفق عليه.

ولهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها حلو ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر).

وأخرجنا أيضاً عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وأخرج مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكروهم الله فيمن عنده).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقال لصاحب القرآن اقرأ وترتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها) رواه أبو داود وغيره.

سورة الإسراء آية ١٠٦ - ١٠٩.

قال الخطابي: جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للمقارئ ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن فمن استوفى قراءة القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه. فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة) رواه ابن خزيمة والحاكم، وقال صحيح الإسناد.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) رواه ابن حبان في صحيحه^(٢).

وأخرج مسلم عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه).

اعلم أن القرآن أفضل من سائر الذكر وهو أفضل من جميع الكتب المنزلة فينبغي للصائم إذا صام أن يكب على قراءة القرآن فهذه حال السلف الصالح، فكانوا يداومون على تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها وتلاوة القرآن مطلوبة لا سيما في هذا الشهر وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على محمد.

(١) انظر معالم السنن للخطابي ٢٨٩/١.

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٩/٣ والماحل: الساعي وقيل خصم مجادل.

الباب الرابع عشر

تنبيه وتذكير

لإخواني المسلمين أهل الأموال

الحمد لله معز من أطاعه واتباعه ومذل من خالف أمره وعصاه وصلى الله وسلم على أفضل خلقه وأصفياه محمد وعلى آله وأصحابه وأوليائه.

وبعد فتعلمون بارك الله فيكم أن الدين النصيحة وأن واجبا على المسلم النصح لأخيه المسلم ولفت نظره الى ما ينفعه في أمر دينه ودنياه وأن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فان الدين يفرض هذا على كل مسلم يخاف الله كما صرح بذلك نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وانني أرى بمناسبة هذا الشهر العظيم المبارك شهر الصيام تقبل الله منا ومنكم صيامه وقيامه وأعاده علينا وعليكم سنين عديدة أرى في هذه الفرصة تنبيه ولفت نظر إخواني المسلمين من أهل الثروة والأموال إلى هذا الواجب العظيم الذي هو ركن من أركان الدين وشعيرة مالية من شعائر الإيمان ألا وهو أداء زكاة الأموال التي هي قرينة الصلاة في كتاب الله التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة إلى الفقراء والمساكين وإن كان إخراجها ليس متحتما في شهر رمضان وإنما هو حلول الحول في رمضان أو غيره من الشهور والأيام ولكن الشيء له مناسبات وهي هنا فضيلة الصدقة في هذا الشهر وفي الحقيقة أن فريضة الزكاة في المال والأمر بإيصالها إلى الفقراء والأيتام هي من بعض حِكَم هذه الشريعة ومن بعض محاسن الإسلام حيث أمرت أهل الثروة والمال بأداء حقه وإيصاله الى مستحقه وفيها من الحكم تعويد النفس على الجود والكرم وفيها جبر قلوب الضعفاء والمساكين وفيها القضاء على الفقر والالتم أو تخفيفه لأن الله هو الذي جعل بني الإنسان غنياً وفقيراً بقوله: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ

بعضهم بعضاً سخرها ورحمة ربك خير مما يجمعون»^(١) ولولا ذلك لتعطلت مصالح الناس ولكنه حكيم عليم، وفيها من المصالح جلب الألفة والمحبة ومقتضى الأخوة بين المسلمين، وفيها سد خلة المحتاج وتخفيف ضرورة حاجته حتى يسلم من أخذ أموال الناس بالباطل وعن السؤال للناس المذموم وفيها زكاة للنفوس وطهارة للقلوب والأعمال وصفاء للعقائد وبعد عن البخل والشح المذمومين كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»^(٢) وهي من ناحية المال زكاة له وفاء وخير وبركة ونفع في الحس والمعنى كما أشار إلى ذلك نبي الله عليه الصلاة والسلام بقوله (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً) رواه مسلم وبقوله يقول الله تعالى (يا ابن آدم أنفق ينفق عليك) متفق عليه.

وقد ذكر في الحديث في عقوبة مانع الزكاة أنه ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بسبب منع الزكاة وقد تكلم العلماء رحمهم الله في حكم مانع الزكاة أنه يقاتل كما قاتلهم الصحابة وكما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل)^(٣) وألتارك لها إما أن يكون تركه جحداً لوجوبها وعناداً للدين الإسلامي فهذا كافر خارج عن الإسلام وإما أن يكون تركه لها بخلاً وشحاً وتغافلاً فهذا حرام باجماع المسلمين ويؤمر بها ويعزر عند منعها ويقاتله الإمام كما تقدم من فعل الصحابة رضي الله عنهم وقد قال أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ثم قال والله لو منعوني عناقاً أو عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه فاستفهم عمر من أبي بكر رضي الله عنهما وناقشه الموضوع فبين له أبو بكر الدليل فافتنع عمر واجتمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم وقد أثنى الله على

(٥) متفق عليه.

(١) سورة الزخرف آية ٣٢.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٣.

المؤدين للزكاة في كتابه العزيز بقوله تعالى «هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون» (٣).

وقال في أموالهم أى المتقين «حق معلوم للسائل والمحروم» (٤) وقد تعدد سبحانه من منعها أو كرهها فقال في وصف المنافقين «ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون» (٥) وقال: «وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسرهُ للعسرِ وما يغني عنه ماله إذا تردى» (٦) وقد جاء القرآن الكريم بالأسلوب الذي تشع له الجبال وترتعد منه فرائص الرجال الأسلوب الحكيم الذي جاء من الكبير المتعال قال تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون» (٧) قال ابن عباس رضى الله عنهما كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز ثم تلا هذه الآية الكريمة وقد فسرهما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بذلك بقوله أما إنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حذته. هذا صاحب المال الذي لم يؤد زكاته وقال في الإبل والبقر والغنم أنه يطح لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها إلى أن قال كلما مر عليه أخرها رد عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فيا عباد الله: أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم محتسبين الأجر والثواب خائفين من

(٣) سورة النمل آية ٢ و ٣.

(٤) سورة المعارج آية ٢٤ و ٢٥.

(٥) سورة التوبة آية ٥٤.

(٦) سورة الليل من آية ٨ - ١١.

(٧) سورة التوبة آية ٣٤ و ٣٥.

منعها من الحساب والعذاب ولا تتبعوها إذا أخرجتموها منّا ولا أذى فإن ذلك يطلها
كما قال ربكم عز وجل «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
كالذي ينفق ماله رثاء الناس» (٨).

والشريعة المطهرة لا تأمر إلا بكل خير ولا تنهى إلا عن كل شر وأما المال الذي تجب
فيه الزكاة فهو الذهب والفضة وما قام مقامهما في المعاملة كهذه الأوراق والفلوس
وكذلك عروض التجارة والإبل والبقر والغنم فنصاب الذهب عشرون مثقالاً وقدره من
الجنه السعدي والأفريقي أحد عشر جنهها ونصف جنه ونصاب الفضة مئتا درهم من
الدراهم القديمة وهو بالمثاقيل مائة وأربعون مثقالاً وقدره من الريالات السعودية فضة
كانت أو ورقاً ستة وخمسون ريالاً ومن الريالات الفرنسية ثلاثا وعشرون ريالاً تقريباً
وفي الجميع ربع العشر إذا بلغت هذا النصاب المذكور وحال عليه الحول وكانت عند
مسلم حر وصار المال ملكاً له فلا يجوز تأخيرها عن وقتها فإذا حال عليها الحول مثلاً في
جمادى أو شعبان فلا يجوز تأخيرها إلى رمضان بل تخرج في وقتها، وأما مسألة تقديمها قبل
وقتها إذا كان حولها مثلاً في شوال فيجوز على أصح الأقوال اغتناماً للزمان الفاضل
والمكان وكذلك تجب الزكاة في عروض التجارة إذا ملكها بفعله بنية التجارة وبلغت
قيمتها نصاباً من أحد التقدين فتقوم عند الحول بالأحظ للفقراء من ذهب أو فضة أو ورق
ويجوز إخراج زكاتها من عينها كما اختار جوازه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
خصوصاً إذا كان أنفع للفقراء قال ويقوى على قول من يوجب الزكاة من عين المال
فتجب الزكاة في عروض التجارة سواء كانت أقمشة أو زجاجاً أو مفروشات تعرض
 للبيع أو مكائن أو سيارات أو أراضي قد اشترت للتجارة أو غير ذلك مما يشتري للبيع
وبذلك سميت عروضاً لأنها تعرض وتزول ويشترط الحول في جميع أنصباء الزكاة إلا في
الحبوب والثمار فإن وجوب الزكاة فيهما عند بدو صلاحهما وحصولهما والربح الذي
يحصل له من بيعه وشرائه يضم إلى أصله ويحسب معه عند إخراج الزكاة ويكون حوله
تبع أصله كنتاج السائمة من بهيمة الأنعام ولو لم تولد السخلة إلا قبل إخراج الزكاة بيوم

(٨) سورة البقرة آية ٢٦٤.

أو يومين، ومصرف الزكاة هو ما ذكره الله سبحانه بقوله: «إِذَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (١) فلا يجوز صرفها إلى غير أحد
هؤلاء الثمانية كإجراء العيون لسقي الناس ولا إلى بناءة المساجد والقناطر والأربطة
وكنس الأسواق وتسهيلها وغير ذلك من الطرق الخيرية ولا تجوز المحاباة فيها بدفعها إلى
غنى من صديق أو قريب أو فقير تلزمه مؤنته تقيه لماله أو إلى زوجة غني منفق وسواء
كانت أمواله في يده أو في البنوك أو دين على ملىء أو غيره فوجب فيها الزكاة ولا يجوز
التحليل لاسقاطها فإن الحيل في إسقاط الواجب أو ارتكاب المحرم حرفة يهودية أعاذنا
الله وإياكم منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود
فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل فيجب على الإنسان أن يحاسب نفسه ويخاف ربه عز
وجل ويبرىء ذمته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه [حاسبوا أنفسكم قبل أن
تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية].

فيا عباد الله تنبهوا لهذا الواجب العظيم وادفعوا الواجب إلى أهله لتفوزوا بخيري
الدنيا والآخرة فيجب على المسلم أن يتعلم من أمر دينه ما يقوم به دينه كصلاته وصيامه
وزكاته وحجه وغير ذلك من فرائض الإسلام حتى يؤدي العبادة على وجهها الشرعي
حتى يسلم من طريقة النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال ولهذا ضلوا وتاهوا
وحاروا أعاذنا الله من طريقهم وليحذر المسلم أن يغلبه البخل والشح عن أداء زكاة ماله
وهي أخت الصلاة وقرينتها في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مقام الأمر قال تعالى «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ» (١).

وكذلك في مقام الثناء على من فعلها وكذلك في مقام ذم من تركها كما تقدم قال
ابن عباس رضى الله عنهما ثلاث لكل واحدة منهن قرينة لا تقبل بدونها إحداهن قوله

(٩) سورة التوبة آية ٦٠.

(١٠) سورة البقرة آية ٤٣.

تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» (١١) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه
والثانية قوله تعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» (١٢) فمن صلى ولم يزك لم يقبل
منه والثالثة قوله تعالى «أن اشكروا لي ولوالديك» (١٣) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه
لم يقبل منه هذا ما رأينا الكلام حوله نصيحة لكم وبراءة للذمة ومعذرة بين يدي الله
عن إثم السكوت ونرجوا الله أن يصلح قلوب الجميع ويرزقنا الاستقامة ويثبتنا على دينه
إنه على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (١٤).

(١١) سورة النساء آية ٥٩.

(١٢) سورة البقرة آية ٤٣ و ١١٠.

(١٣) سورة لقمان آية ١٤.

(١٤) هذا الباب من املاء الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان.

الباب الخامس عشر

في أهمية الزكاة في الإسلام (١)

الحمد لله الذي فرض الزكاة وأوجبها على الأغنياء حكمة بالغة وتطهيراً للأموال ورفقاً وتيسيراً للفقراء والضعفاء والمساكين ف سبحانه من إله عليم حكيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتبعه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد فيا عباد الله اعلموا أن الله عز وجل فرض عليكم الزكاة تطهيراً لأموالكم ومساعدة لفقرائكم قال تبارك وتعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» البقرة آية (٤٣).

وقال سبحانه وتعالى: «ولا يحسن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير» آل عمران آية ١٨٠.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطَوِّقُه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية «ولا يحسن الذين ييخلون» الآية رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج بيت الله وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر) رواه البخاري.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص ٥٠.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو إليه أفقر مني قال فقال خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذته فتموله فإن شئت كله وإن شئت تصدق به وما لا فلا تتبعه نفسك فلاجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيه) رواه البخاري ومسلم. وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال (ياحكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشرف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) قال حكيم فقلت [يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفي رضي الله عنه] رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن (إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا هم أطاعوا بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فيأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله: اعلّموا أن الزكاة ركن من أركان الإسلام فرضها الله تعالى على الأمة الإسلامية في السنة الثانية من الهجرة وقرنها الله عز وجل مع الصلاة في كثير من آيات القرآن الكريم لما لها من الأهمية في الدين والدنيا فلا تكاد تقرأ في القرآن إقامة الصلاة إلا وقرأت معها إيتاء الزكاة لأن الصلاة تهذب الروح والزكاة تهذب المال وإذا تعود الإنسان اخراج الزكاة من ماله مرة أو مرتين وعلم يقيناً أنها تنفعه في المستقبل وتنفع المجتمع الذي هو فيه وتنفع الشخص الذي أعطاه إياه طهرت نفسه وتنزهت من أدواء البخل والشح قال الله سبحانه وتعالى «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» التغابن آية (١٦).

فالزكاة إذاً طهرة للمال وتزكية للنفس، ومن فوائد الزكاة تولد المحبة بين الغني والفقر والزكاة عنوان للإيمان ومظهر شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه والله سبحانه وتعالى جعل بذل المال والانفاق في سبيل الخير علامة من علامات الإيمان ووصف البخل من آيات النفاق إن البخل ومنبعه القسوة على عباد الله والحرص على المال استرسالاً في الشهوات وميلاً مع الأهواء لا يجتمع مع الإيمان الصحيح في قلب واحد وليس لأحد أن يزعم أنه يؤمن بالله وبما أنزل على رسله من الأوامر والنواهي حتى يقوم بما أمر الله فيما طلب منه على ما يحب ويرضى.

فيا عباد الله: اعلّموا أن السعة في الرزق ووفرة المال من أجلّ النعم ومن الشكر على نعمة الغنى بالمال اخراج ما وجب فيه من زكاة وحقوق، وما ندب إليه من صدقة إحسان إلى الضعفاء والمساكين وصلة رحم من له رحم توصل به فالإنفاق في سبيل الخير وما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم ومرافق حياتهم من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله كل ذلك من حقوق المال وأداؤه من شكر النعمة والنماء والبركة بعد ذلك حاصلان في المال ولا ريب لا تضر مالا صدقة بل تزيد خيراً الناس من يكون قدوة حسنة في الخير وسبباً في البر والإحسان.

يا من أنعم الله عليهم بالمال أنفقوا من أموالكم على إخوانكم المحتاجين أنفقوا منها في سبيل البر والإحسان فطريق الخير واسع والإنفاق فيها سهل على من يسره الله له تسابقوا إلى مرضات ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

فيا عباد الله إذا فكرنا في مسألة المال وتداول الأيدي عليه رأينا أن الرزق بيد الله تعالى يبسطه لمن يشاء ويقبضه عمن يشاء فهذا غني وهذا فقير وهذا ميسور الحال واسع النعمة وهذا بائس محروم والله سبحانه وتعالى لا يغني شخصاً لأنه يستحق الغنى، ولا يفقر شخصاً لأنه جدير بالفقر فقد يغني عبداً وهو كاره له غاضب عليه لكفره وفسقه وقد يغني عبداً كان من عباده الصالحين ثم جاءه الغنى فأشقاه وقد يفقر عبداً وهو راض عنه ليلجأ إلى الله بالدعاء والاستعانة وَلِيَمُنَّ عَلَيْهِ بثواب الصبر وليأجره على عبادته ورضاه بما قسم له.

فيا عباد الله: اعلّموا أن الزكاة لا حق فيها لغني ولا لقوي مكتسب وإنما هي للضعيف العاجز عن اكتساب حاجته، ومصارف الزكاة ووجوه انفاقها محدودة بحد معروف ولا تصرف إلا لمن ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» التوبة آية (٦٠).

الفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فمن قدر على كسب فإن ذلك يخرج به عن الفقر، والمساكين هم الذين لا يفي دخله بمصروفاته.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفا عليهن لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) رواه أحمد.

جعلني الله وإياكم ممن يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة بمنه وكرمه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب السادس عشر

في بحوث هامة حول الزكاة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

أما بعد فإن الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النصيح والتذكير بفريضة الزكاة التي تساهل بها الكثير من المسلمين فلم يخرجوها على الوجه المشروع مع عظم شأنها وكونها أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم — بناؤه إلا عليها لقول النبي صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) متفق على صحته.

وفرض الزكاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام ورعايته لشئون معتنقيه لكثرة فوائدها ومسيس حاجة الفقراء المسلمين إليها فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ومنها تطهير النفس وتزكيتها والبعد بها عن خلق الشح والبخل كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» (١) ومنها تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذوى الحاجة، ومنها استجلاب البركة والزيادة والخلف، كما قال تعالى «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» (٢) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك) (٣) إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها قال الله تعالى «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما

(١) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٢) سورة سبأ آية ٣٩.

(٣) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ١ ص ٢٠٣.

كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكثرون» (٤) فكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) (٥) ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه — يعني شذقيه — ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرهم فيسطقون ما بخلوا به يوم القيامة» متفق عليه.

والزكاة تجب في أربعة أصناف الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة وعروض التجارة. ولكل من هذه الأصناف أربعة نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق والوسق ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مقدار النصاب من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الخلقة إذا كانت يده مملوءتين. وأما نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي استطاعة الراغب في معرفته سؤال أهل العلم عن ذلك ولولا قصد الإيجاز لذكرناه لتمام الفائدة.

(٤) سورة التوبة آية ٣٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم «الترغيب والترهيب» ج ٢ ص ٥٦ — ٥٧.

وأما نصاب الفضة فمائة وأربعون مثقالاً ومقداره بالدرهم العربي السعودي ستة وخمسون ريالاً. ونصاب الذهب عشرون مثقالاً ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه والواجب فيها ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول والريح تابع للأصل فلا يحتاج إلى حول جديد كما أن نتاج السائمة تابع لأصله فلا يحتاج إلى حول جديد إذا كان أصله نصاباً وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهماً أو ديناراً أو دولاراً أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة، ويلتحق بالنقود حلي النساء من الذهب والفضة خاصة إذا بلغت النصاب المتقدم وحال عليها الحول فإن فيها زكاة وإن كانت معدة للاستعمال أو العارية في أصح قولي العلماء لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار) (٦) ألخ الحديث المتقدم. ولما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى بيد امرأة سوارين من ذهب فقال أعطين زكاة هذا قالت لا قال: (أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار فألقتهما وقالت هما لله ولرسوله) أخرجه أبو داود والنسائي بسند حسن وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوصاحاً من ذهب فقالت: يا رسول الله أكنز هو فقال صلى الله عليه وسلم (ما بلغ أن يزكى فزكى فليس بكنز) (٧) مع أحاديث أخرى في هذا المعنى. أما العروض وهي السلع المعدة للبيع فإنها تقوم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أو أكثر أو أقل لحديث سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [بأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعهده للبيع] رواه أبو داود.

(٦) رواه الحاكم ومسلم. المصدر السابق ج ٢ ص ٦١.

(٧) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وأخرجها أبو داود في باب (الكنز ما هو؟)

«الإمام بأحاديث الإحكام» ص ٢٢٤.

و يدخل في ذلك الأراضى المعدة للبيع والعمارات والمكائن الرافعة للماء وغير ذلك من أصناف السلع المعدة للبيع. أما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول أما ذاتها فليس فيها زكاة لكونها لم تعد للبيع وهكذا السيارات الخصوصية والتكاسي ليس فيها زكاة إذا كانت لم تعد للبيع وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال وإذا اجتمع لصاحب سيارة الأجرة أو غيره نقود تبلغ النصاب فعليه زكاتها إذا حال عليها الحول سواء كان أعدها للنفقة أو للتزوج أو لشراء عقار أو لقضاء دين أو غير ذلك من المقاصد لعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الزكاة في مثل هذا والصحيح من أقوال العلماء أن الدين لا يمنع الزكاة لما تقدم. وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول ويجب على أوليائهم إخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول لعموم الأدلة مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ لما بعثه إلى أهل اليمن (إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم) (٨).

والزكاة حق الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضراً ولا أن يقي بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة. بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق جزيل المثوبة والخلف.

وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف أهل الزكاة فقال تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (٩) وفي ختم هذه الآية الكريمة بهذين الأسمين العظيمين تنبيه من الله سبحانه لعباده على أنه سبحانه هو العليم بأحوال عباده ومن يستحق منهم الصدقة ومن لا يستحق وهو الحكيم

(٨) رواه البخاري ومسلم «الإمام بأحاديث الإحكام» ص ٢١٧.

(٩) سورة التوبة آية ٦٠.

في شرعه وقدره فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللاتقة بها وإن خفي على بعض الناس
بعض أسرار حكمه ليطمئن العباد لشرعه وَيُسَلِّمُوا لحكمه والله المسئول أن يوفقنا
والمسلمين للفقهِ في دينه والصدق في معاملته والمساواة إلى ما يرضيه والعافية من موجبات
غضبه إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الباب السابع عشر

ما جاء في غزوة بدر

قال الله تعالى: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، إن كنتم آمتمم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير»^(١).

ينسبته تعالى على نعمه وإحسانه إلى خلقه، بما فرَّق به بين الحق والباطل بيدرو يسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه.

قال ابن عباس في يوم الفرقان: «هو يوم بدر فرق الله به بين الحق والباطل».

وملخص القصة: أنه لما فرض صيام رمضان في ثاني سنة من الهجرة صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامه المسلمون معه، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب عير قريش قدمت من الشام إلى المدينة لأثنى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأفطر في خروجه إليها وكانت سبب خروجه حاجة أصحابه خصوصاً المهاجرين «الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»^(٢) وكانت هذه العير معها أموال كثيرة لأعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلماً وعدواناً فقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموال هؤلاء الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده، فيردها على أولياء الله وحزبه، ليتقوا بها على عبادة الله وطاعته وجهاد أعدائه وهذا مما أحله الله لهذه الأمة، فإنه أحل لهم الغنائم وكان عدة من معه ثلاثمائة وبضعة عشر، كما ورد في سنن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو، قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا، فقال اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم» ففتح الله يوم بدر فانقلبوا — حين انقلبوا — وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا

(١) سورة الحشر آية ٨.

(٢) سورة الأنفال آية ٤١.

وشبّعوا، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا على غاية من قلة الظهر والزاد، فإنهم لم يخرجوا مستعدين لحرب ولا قتال، إنما خرجوا لطلب العير، فكان معهم نحو سبعين بعيراً يعتقبونها بينهم كل ثلاثة على بعير، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم زميلان وكانوا يعتقبون على بعير واحد فكان زميلاه يقولان له: اركب يا رسول الله فيقول: ما أنتما بأقوى على المشي مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما، ولم يكن معهم إلا فرسان. وقيل: ثلاثة، وقيل فرس واحد للمقداد، وبلغ المشركين خروج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العير فأخذ أبو سفيان بالعير نحو الساحل وبعث إلى مكة يخبرهم الخبر و يطلب منهم أن ينفروا لحماية عيرهم، فخرجوا مستصرخين وخرج أشرافهم ورؤساؤهم، وساروا نحو بدر واستشار النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في القتال. فتكلم المهاجرون فسكت عنهم، وإنما كان قصده الأنصار، لأنه ظن أنهم لم يبايعوه إلا على نصرته على من قصده في ديارهم، فقام سعد بن عبادة سيد الأنصار، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، وقال له المقداد: لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: **«إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»** ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأجمع على القتال وبات تلك الليلة — ليلة سابع عشر رمضان — قائما يصلي ويبكي ويدعو الله ويستنصره على أعدائه.

وفي المسند عن علي بن أبي طالب: قال: [لقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، يصلي ويبكي حتى أصبح] وفيه أيضاً عنه قال: أصابنا طش من مطر — يعنى ليلة بدر — فانطلقنا تحت الشجر والجحف نستظل بها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: **(إن تهلك هذه الفئة لا تعبد)** فلما أن طلع الفجر نادى: **(الصلاة عباد الله)** فجاء الناس من تحت الشجر والجحف، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحث على القتال وأمد الله تعالى

نبيه صلى الله عليه وسلم بنصر من عنده و بجند من جنده كما قال تعالى: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله» (١).

وفي صحيح البخاري أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ماتعدون أهل بدر فيكم، قال: من أفضل المسلمين — أو كلمة نحوها — قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة) قال الله تعالى: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» (٢) وقال تعالى: فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» (٣) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) سورة الأنفال آية ٩ — ١٠.

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٣.

(٣) سورة الأنفال آية ١٧.

الباب الثامن عشر

في فضل تلاوة القرآن والعناية به

الحمد لله الكريم المنان - الذي أكرمنا بالقرآن. المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان. وجعله ربيعاً لقلوب أهل البصائر والعرفان. لا يَخْلُقُ على كثرة الرد وتغاير الأحيان. ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان. وضمن حفظه فهو محفوظ بحفظ الله من الزيادة والتبديل والنقصان. أحمده على ذلك وعلى غيره من نعمه التي لا تحصى وخصوصاً نعمة الإيمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ننال بها الغفران. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حث على تعلم القرآن وتعليمه والتفكير فيه وتفهمه. والعمل بأحكامه والوقوف عند حدوده. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واهتموا بكتاب الله. قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ. لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» (١) وروى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري ومسلم. وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت

(١) سورة فاطر آية ٢٩ - ٣٠.

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

عباد الله هذه نصوص سمعتموها من كتاب ربكم وسنة نبيكم تحثكم على تعلم كتاب الله وتلاوته والعمل به، لأنه مناط سعادتكم وهو المخرج من الفتن. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغي الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة. ولا تشيع منه العلماء. ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرد. ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق. ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل. ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. فأقبلوا على تعلمه وتعليمه وتلاوته والتفكير فيه وعلموه أولادكم ونشئوهم على تلاوته وحبه. حتى يألفوه ويتصلوا به فَيُظَهَّرَ أخلاقهم ويزكي نفوسهم و يكونوا من حملة القرآن وأهله. لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يقرأ في صلاته وحفظ القرآن في الصغر أولى من حفظه في الكبر وأشدّ علوقاً بالذاكرة وأرسخ وأثبت. لأن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

عباد الله: إن أكثر الناس اليوم انشغلوا عن تعلم القرآن — فالكبار انشغلوا بالدنيا والصغار انشغلوا بالدراسة النظامية في المدارس التي لا تعطي لتعليم القرآن وقتاً كافياً ولا عناية لائقة ولا مدرسين يقومون بالواجب نحوه. وبقية وقت الأولاد مضيع في اللعب في الشوارع مما أدى إلى جهلهم بالقرآن وابتعادهم عنه حتى تجد أحدهم يحمل أكبر الشهادات الدراسية وهو لا يحسن أن يقرأ آية من كتاب الله على الوجه الصحيح وحتى آل الأمر إلى خلو كثير من المساجد من الأئمة لثقل تلاوة القرآن على غالب الناس — والسبب في كل ذلك بالدرجة الأولى إهمال الآباء لأبناءهم وعدم اهتمامهم بهذه الناحية. فلا يدري أحدهم ما حالة ابنه مع القرآن وحتى صار القرآن مهجوراً بين غالب المسلمين. وهذا ما شكاه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «يا رب إن قومي اتخذوا

هذا القرآن مهجوراً»^(١) قال ابن كثير رحمه الله: وترك تدبره وتفهمه من هجرانه. وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه والعدول عنه إلى غيره من شعر أو غناء أو لهو أو كلام. أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه. وقال ابن القيم رحمه الله:

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشقاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله «وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً». وإن كان بعض المهجور أهون من بعض. أ هـ. وقد ورد في الحديث (يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه)

عباد الله: إنه لا بد من تلقي القرآن وتعلمه عن معلمين يجيدون قراءته ولا يكفي أن يتجهجاه الإنسان من المصحف. فان تلقي القرآن من فم الملقن أحسن وأضبط لأن الكتابة لا تدل على الأداء.

كما أن المشاهد من كثير ممن تلقاه من الكتابة فقط أنه يكثر تصحيحه وغلطه. فلا بد من معلم متقن يوقفه على ألفاظ القرآن فيجب على من أراد أن يتعلم القرآن أو يعلمه أولاده أن يختار المقرئ المجيد ليأخذوا القرآن عن إتقان و يتعلموه عن جودة — فإن الاهتمام بكتاب الله من أهم المهمات.

(١) سورة الفرقان آية ٣٠.

عباد الله: ومن تعلم كتاب الله فليحافظ عليه وليكثر من تلاوته بتدبر وتفهم وخشوع وحضور قلب قال صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله: [تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله. أَرَمَهُ الأمور كلها بيده ينصح عباده و يدهم على ما فيه سعادته وفلاحهم. ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه فيذكركم بنعمه عليهم. ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها. ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه. وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه. ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين. يدعوا إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها. ويحذر من دار البوار وَيَذَكِّرُ عذابها وقبحها ويذكر عباده فقرهم إليه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه وتتنافس على القرب منه. فالقرآن مذكر بالله مقرب إليه. فينبغي للمسلم أن يعنى بتعلمه ويكثر من تلاوته لأنه النور والشفاء والرحمة والروح والهدى والفرقان والذكر الحكيم والبرهان.

عباد الله: وأكثرُوا من تلاوة القرآن في شهر رمضان المبارك فإن تلاوته في هذا الشهر لها مزية وفضيلة على تلاوته في غيره من الأوقات لأنه أنزل فيه كما قال تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وقال: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ولأن الحسنات في هذا الشهر تضاعف أكثر من مضاعفتها في غيره، ولأن القلب يقبل على تدبر القرآن في هذا الشهر أكثر من غيره ولذلك كان جبريل عليه السلام يدارس نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن في هذا الشهر كل ليلة وكان السلف يقبلون على تلاوة القرآن فيه و يتفرغون من دراسة الحديث وطلب العلم ليقبلوا على تلاوته.

عباد الله: ومطلوب من المسلم أن يتلو القرآن على حسب حاله وفي حدود استطاعته

فإن كان يجيد القراءة فهذا أفضل وأكمل. وإن كان لا يجيدها فإنه يقرؤه على حسب حاله فقد ورد في الحديث: (أن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري ومسلم.

وينبغي لهذا أن يجتهد في إصلاح قراءته على يد من هو أحسن منه قراءة. كما أن المسلم يتلو ما تيسر له من القرآن فإن كان يقرؤه كله فهذا أكمل وأحسن وإلا قرأ ما يمكنه من سورة ليحوز الأجر والفضيلة ولا يتوقف عن التلاوة بحجة أنه لا يحسن قراءة القرآن كله. فيحرم نفسه الأجر ويفوت عليها الفرصة (*).

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل والنهار على الوجه الذي يرضيك عنا واجعله حجة لنا لا حجة علينا.

اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته. واجعلنا ممن يقيم حدوده ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده. اللهم اجعلنا ممن اتبع القرآن فقاذه إلى رضوانك والجنة ولا تجعلنا ممن اتبعه القرآن ففرخ في قفاه إلى النار.

واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.
يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(*) من خطب الشيخ صالح الفوزان ص ٢٦٨ - ٢٧٢. جـ ١

(٤) سورة فاطر آية ٢٩ - ٣٠.

فصل

في الحث على تدبر القرآن والتحذير من الغفلة

قال الله تعالى: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق» (١) يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ففهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيع؟.

روي عن ابن عباس أنه قال: [إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن] (٢).

اعلم أن كلام رب العالمين والذكر الحكيم له طلاوة وحلاوة لمن هداه الله ووقفه وينبغي أن يداوم على قراءته ويتلذذ بمناجاة الله بكلامه، ويكون خاشعاً عاملاً بأوامره منتهياً عن زواجه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [لا تهذوا القرآن هذ الشعر، وتثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحرکوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة].
وقال عبد الله أيضاً: [إذا سمعت الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا»، فأصغ لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تصرف عنه].

وقال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به فأتخذوا تلاوته عملاً.
وكان النبي صلى الله عليه وسلم (يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية يرددها حتى الصباح) (٣).

وينبغي لقارئ القرآن أن يعمل به، ويحذر أن يكون ممن يقرأ القرآن والقرآن يلعبه.
قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: إن أحدهم يقرأ القرآن وهو يلعب نفسه، قيل

(١) سورة الحديد آية ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣١٠.

(٣) وهي قوله تعالى: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» سورة المائدة آية

له: كيف ذلك؟ قال: يقرأ «(لعنة الله على الكاذبين)» وهو يكذب «ألا لعنة الله على الظالمين» ويظلم.

ومن آداب القارئ أن يحذر من قطع القراءة، و يأخذ في الكلام الذي لا يعنى مع صاحبه القريب إلى جنبه. وهذا مما لا ينبغي، بل هو مكروه ومستقبح سيما إذا كان ذلك في المساجد، ذكر معنى ذلك في النصائح الدينية^(١).

واعلم أن أهل القرآن هم العاملون به والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم، ففي القرآن ترغيب وترهيب، وفيه من البيان والإيضاح أمر عجيب وفيه وعد ووعد، وتخويف وتقريع وتهديد، ولكن الغافل عن تدبره فهُمُّه بعيد. وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر النصائح الدينية ص ٤٤ - ٤٨.

الباب التاسع عشر في فوائد الصيام وآدابه

الحمد لله الذي شرع لعباده الصيام. لتهديب نفوسهم وتطهيرهم من الآثام. أحده وهو المستحق للحمد. وأشكره على نعم تزيده عن العد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى من صلى وصام وحج واعتمر وأطاع ربه في السر والجله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً...

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله، عباد الله اشكروا الله أن بلغكم شهر رمضان وممكنكم من الصيام والقيام.

فإن الصيام من أنفع العبادات وأعظمها أثراً في تطهير النفوس وتهذيب الأخلاق. فمن فوائده أنه يسبب تقوى الله تعالى. قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»^(١) فالصيام يدخل العبد في حظيرة التقوى التي هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه فيقي بذلك نفسه من النار ومن جميع المخاوف. ومن فوائد الصيام أنه يكسب العبد الخير الكثير في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: «وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون»^(٢)

ومن فوائد الصيام أنه يعود الإنسان الصبر والتحمل والجلد لأنه يحمل الإنسان على ترك ما لوفه وشهوته عن طوعية واختيار.

ومن فوائده أنه يمكن الإنسان من الانتصار على نفسه — فإن النفس ميالة إلى الشهوات فإذا أعطاه الإنسان ما تشتهي دائماً تغلبت عليه وربما انحرفت به إلى ما لا تحمد عقباه.

(١) سورة البقرة — آية ١٨٣

(٢) سورة البقرة — آية ١٨٤

قال تعالى: «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي» (١) فالصائم يملك زمام نفسه و ينتصر عليها.

ومن فوائد الصيام أنه يضعف مجاري الشيطان في البدن لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم. فالعبد إذا أتاح لنفسه ما تطلبه من الشهوات فإن ذلك مما يساعد الشيطان على التمكن منه واضلاله وحمله على الأشر والبطر وغير ذلك من الخصال الذميمة.

والصيام يسد هذا الباب من أساسه و يطرد الشيطان ...

ومن فوائد الصيام — أنه يُذكّر العبد بنعمة الله عليه فإنه إذا ذاق مس الجوع والعطش عرف قدر نعمة الله عليه حيث يسر له الطعام والشراب في أوقات الحاجة إليه فيشكر الله على ذلك و يعرف حاجته إلى ربه .

ومن فوائد الصيام أنه يحمل على الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين — فإن الصائم إذا جاع تذكر الجائعين وإذا عطش تذكر العطشى فيحمله ذلك على البذل والصدقة والإحسان إلى المحاويج .

ومن فوائد الصيام أنه يقمع الكبر والترفع على الناس . فإنه إذا صام الغني والفقير والملك والصعلوك والشريف والوضع . فإن العبد يتذكر أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وأن الناس كلهم عباد الله تجري عليهم أحكامه على حد سواء ...

ومن فوائد الصيام أنه سبب لاجتماع كلمة المسلمين وارتباط بعضهم ببعض فانهم يصومون في وقت واحد . و يفطرون في يوم واحد فكان ذلك مما يسبب إئتلافهم و يزيل أسباب الفرقة والنفرة فيما بينهم .

ومن فوائد الصيام أنه يسهل فعل الطاعات . فمن يلاحظ حال الصائمين في رمضان وما هم عليه من تحري الطاعة وتحري سبيل الخيرات وابتعادهم عن المعاصي ورغبتهم في الإحسان يدرك أن الصوم من أعظم أسباب الهداية . و يدرك معنى قوله تعالى: «وأن

تصوموا خير لكم»^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم: (الصوم جنة) أى وقاية من المحذور...

ومن فوائد الصيام أنه يسبب صحة البدن بخلو المعدة من أخلاط الطعام المضرة. ففيه صحة للقلب من الأخلاق الذميمة وصحة للبدن من الأمراض المؤذية إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى...

عباد الله: واعلموا أن للصوم آداباً تجب مراعاتها. فالصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور. وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث. فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه. وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه. فيخرج كلامه نافعاً صالحاً، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك. كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الامساك عن الطعام والشراب.

ومن آداب الصيام أن لا يكثر من الطعام في الليل بل يأكل بمقدار فإنه ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. ومتى شبع أول الليل لم ينتفع بنفسه في باقيه. وكذلك إذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه في غالب النهار، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور ثم أنه يفوت المقصود من الصيام بكثرة الأكل. لأن المراد من الصيام أن يذوق طعم الجوع ويكون تاركاً للمشتهى.

ومن آداب الصيام تأخير السحور بحيث يبدأ الصيام عند طلوع الفجر الثاني قال تعالى: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^(٢)...

ومن آداب الصيام تعجيل الإفطار إذا تحقق غروب الشمس اما بمشاهدة أو سماع أذان المغرب. وبعض الناس يخلون بذلك بحيث يسهرون معظم الليل ثم يتسحرون

(١) سورة البقرة — آية ١٨٤

(٢) سورة البقرة — آية ١٨٧

و ينامون قبل الفجر بساعة أو أكثر وهؤلاء قد ارتكبوا عدة أخطاء:

أولاً: أنهم صاموا قبل وقت الصيام.

ثانياً: ربما تركوا صلاة الفجر مع الجماعة فعصوا الله بترك ما أوجب عليهم من صلاة الجماعة.

ثالثاً: ربما يخرجون صلاة الفجر عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد طلوع الشمس وهذا خطر عظيم قال الله تعالى: «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»^(٦) وقال تعالى: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة»^(٧) والسهو والإضاعة المذكوران في الآيتين هما إخراج الصلاة عن وقتها. فاتقوا الله يا عباد الله. ولا تبنوا دينكم من جانب وتهدموه من جانب آخر فإن الإسلام يبنني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام فأقيموا الدين ولا تفرقوا فيه (*)

قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون»^(٨) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. (*)

(٦) سورة الماعون آية ٤—٥

(٧) سورة مريم — آية ٥٩

(٨) سورة البقرة — آية ١٨٣—١٨٤

(٥) من الخطب المنبرية للشيخ صالح الفوزان ص ٨٨

فصل في فضائل القرآن الكريم (١)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله واصحابه واتباعه وسلم.

اما بعد فيا أيها المسلمون اعلّموا ان الله عز وجل قال في كتابه المبين:
«إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً» الاسراء أية (٩). وقال سبحانه وتعالى «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً» الاسراء أية (٨٢). وقال تبارك وتعالى «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» هود أية (١). وقال جل شأنه «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر أية (١٧).

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخارى ومسلم وعن ابى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الا ترعة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران» رواه البخاري ومسلم.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص ٧٤

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال (من قرأ القرآن لم يرد الى ارضه العمر وذلك قوله تعالى «ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا» قال الذين قرأوا القرآن) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد.

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابتعد من النار» رواه مسلم.

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله حمدنى عبدى فاذا قال «الرحمن الرحيم» قال اثنى على عبدى فاذا قال «مالك يوم الدين» قال مجدنى عبدى واذا قال «اياك نعبد واياك نستعين» قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل) رواه مسلم.

فيا عباد الله اعلموا ان هذا القرآن الكريم حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا تنقض عجائبه ولم يله سامعه ولا يخلق عن كثرة الرد إقرأوه فان الله تعالى يأجر على قراءته بكل حرف عشر حسنات لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وليست قراءته المطلوبة هزيمة أو ترغما يخرج من شرف مكانته وعلو رفعة الى فن الاغاني والمطربات كما اولع به بعض اهل

هذا الزمان وكما يفعله من اتخذ القرآن مأكلة يتغنى بالفاظه ويولد حروفا زائدة على ما انزل من الله تعالى ومع ذلك يريدون صد الناس عن الاقبال على قراءة القرآن ويقصرونها على معينين من المطربين اطراباً غنائياً مجرداً بلا احترام الآيات ولا عملاً بما تقتضيه من امر بخير أو نهى عن شر.

فيا عباد الله ان القرآن الكريم فيه قصص ومواعظ وحكم واحكام وإعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف ووصاف وتعليم وترغيب وترهيب وإخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة قال الله تبارك وتعالى «اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم». سورة الاعراف آية ٣

فيا أيها المسلمون ان هذا القرآن الكريم بين ايديكم تدبروا آياته وعالجوا به امراض قلوبكم فهو شفاء ورحمة للمؤمنين آمنوا به ايماناً صادقاً والتزموا امره واجتنبوا نهيه استضيئوا بنوره واهتدوا بهديه اننا لن نكون امة صالحة قوية ولن نكون اعزة ويقوى سلطاننا ونسترد مجدنا ونكون كما كان اسلافنا ائمة وقادة هداة مرشدين ومصلحين الا اذا رجعنا إلى ديننا واستمسكنا به وفهمناه كما أراد الله تعالى وحكّمناه في كل شيء في ديننا في سياستنا في معاملتنا في اقوالنا وافعالنا قال الله عز وجل «ما فرطنا في الكتاب من شيء» الانعام آية (٣٨).

فيا عباد الله ان القرآن الكريم لا يساويه قول مهما علا ولا كلام مهما سما لانه قول المنزه عن المثل والتشبيه المتعالى عن النقائص والانداد وحسب القرآن الكريم جلالة ومجداً ان الاربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تذهب ببهاء اسلوبه الذي لا يزال غضاً وان الانسان ليقراً كلام أحب الناس اليه فيمجه بالتكرار ويعافه على مر الايام أما القرآن الكريم فكلما زدت تلاوته ازداد حلاوة واذا استمسكت به استمسك بك حتى يسلمك إلى منزلة عند الله سبحانه وتعالى فيعطيك من نعمته حتى يكفيك ويفيض عليك من كرمه حتى يرضيك.

ومن اعجب العجب أن يحن الانسان إلى استماع القرآن ويطرب لتلاوته ولولم

يفهم معناه ادام الله تعالى علينا نعمة القرآن وزادنا له حباً وبه تمسكاً فاحرص أيها المؤمن اللبيب على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته وفهمه وتفهمه والتحرز بما فيه من اوامر ونواه تسعدك في دنياك وتقربك من مولاك وتسرف في مثواك وتنجيك في اخراك .

فياعباد الله اعلّموا ان القرآن الكريم انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه من التغيير والتحريف انزله هدى ونوراً ليخرج الناس به من ظلمات الشرك والجهل والعدوان إلى نور العلم والتوحيد والهدى والعرفان وينقذهم به مما هم فيه من جهالة وعمى يدعوههم إلى الايمان بربهم وإلى الاستسلام له يدعوههم إلى مكارم الاخلاق وسلوك الصراط المستقيم .

فياعباد الله ان القرآن الكريم شفاء لما في الصدور فكم اذهب اسقاماً وازال آلاماً وشفى صدوراً وابراً جسوماً وقد ورد في الحديث الصحيح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرقون اللديغ بام الكتاب فيبرأ لوقته ويقوم لساعته وقد أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم فانعم به من هدى واكرم به من شفاء وهو يشفى كل من آمن به من الشك والريب .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انها ستكون فتنة قلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس باهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيع به الاهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشـد فآمنا به) من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم» رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا من اتباع القرآن واجعل القرآن قائداً لنا إلى الجنة ولا تجعله سائقاً لنا
إلى النار برحمتك انك انت ارحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه
واتباعه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الباب العشرون ما جاء في العشر الأواخر من رمضان (٥)

الحمد لله الذي أتاح لعباده أوقات الفضائل ومواسم العبادة. ليتزودوا فيها من الأعمال الصالحة ويتوبوا إلى ربهم من الأعمال السيئة. وليضاعف لهم فيها الأجور. ويعرضهم فيها لنفحات جوده وينزل عليهم فيها من رحمته وإحسانه. أحده على نعمه وأشكره على جزيل إحسانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع فيسر. ورحم وغفر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. كان يغتنم مواسم الفضائل ويحث على اغتنامها ويحذر من إضاعتها نصحاً للأمة وحرصاً على جلب الخير لها ودفع الشر عنها صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بهديه وساروا على سنته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله واعلموا أنكم تستقبلون عشراً مباركة هي العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم. إنها العشر التي اختصها الله بالفضائل والأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة. فمن خصائص هذه العشر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العمل فيها أكثر من غيرها ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره». وفي الصحيحين عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم «إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. وهذا شامل للاجتهاد في هذه العشر بجميع أنواع العبادة من صلاة وقراءة قرآن. وذكر الله بالتسبيح والتلهيل والاستغفار والصدقة وغير ذلك». وفي هذين الحديثين وما جاء بمعناها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفرغ للعبادة في هذه العشر. فينبغي لك أيها المسلم أن تتفرغ فيها من أعمال الدنيا أو تخفف منها وتشتغل بالعبادة اقتداءً بنبيك وطلباً للأجر وغفران الذنوب. ومن خصائص هذه العشر المباركة الاجتهاد في قيام الليل وتطويل الصلاة بتطويل القيام فيها والركوع والسجود. وإيقاظ الأهل والأولاد ليشاركوا المسلمين في إظهار هذه الشعيرة ويشاركوا

(٥) من خطب الشيخ صالح الفوزان ص ٩٢/١

في الأجر والشواب و يتربوا على العبادة وتعظيم هذه المناسبات الدينية. وهذا أمر يغفل عنه الكثير من الناس فيتركون أولادهم يلعبون في الشوارع و يسهرون لمزاولة أمور تضرهم في دينهم ودنياهم. ولأنه لمن الحرمان العظيم والخسارة الفادحة أن ترى كثيراً من المسلمين تمر بهم هذه الليالي العظيمة وهم وأهلهم وأولادهم في غفلة معرضون. فيمضون هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم. يسهرون معظم الليل في اللهو الباطل فإذا جاء وقت القيام والتهجد ناموا وفوتوا على أنفسهم خيراً كثيراً لعلمهم لا يدركونه بعد عامهم هذا، وحلوا أنفسهم وأهلهم وأولادهم أوزاراً ثقيلة لم يفكروا في سوء عاقبتها، إن هذا من تلاعب الشيطان بهم وصدّه إياهم عن سبيل الله، قد يقول قائل ان هذا القيام نافلة وأنا يكفيني المحافظة على الفرائض. والجواب عن ذلك أن نقول: ان المحافظة على الفرائض فيها خير كثير ولا تُسأل إلا عنها. ولكن ما الذي يدريك أنك أديت الفرائض بالوفاء والتمام. فأنت بحاجة إلى النوافل ليكمل بها نقص الفرائض يوم القيامة. روى الترمذي وغيره في الحديث القدسي «قال الرب سبحانه انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك» والله سبحانه فرض الفرائض وعلم من عباده أنهم سيقصرون في اتمامها واكمالها فشرع لهم النوافل لجبر هذا التقصير — رحمة بهم — شرع نوافل من جنس الواجبات فجعل من الصلاة ما هو واجب وما هو تطوع. وجعل من الصدقات ما هو واجب وما هو تطوع. وجعل من الصيام ما هو واجب وما هو تطوع. ومن الحج ما هو واجب وما هو تطوع. ولا تكاد تجد واجباً إلا وبجانبه تطوع من جنسه. ثم لو فرضنا أنك وفيت الفرائض حقها. فأنت مأمور بالاعتداء بنبيك صلى الله عليه وسلم فقد كان يقوم من الليل على الدوام ولا سيما في هذه العشر. وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لرجل: لا تدع قيام الليل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه وكان إذا مرض أو قالت كسل صلى قاعداً، وفي رواية عنها قالت بلغني عن قوم يقولون إن أدينا الفرائض لم نبال ألا نزداد ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار وما أنتم إلا من

نبيكم وما نبيكم إلا منكم والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل . تشير رضي الله عنها إلى أنه ينبغي للمسلم الاقتداء بنبيه فلا يدع قيام الليل .

أيها المسلمون: ومن خصائص هذه العشر أنها يرجى فيها مصادفة ليلة القدر التي قال الله فيها: «ليلة القدر خير من ألف شهر» قال النخعي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها — وألف شهر يعابد الله ثلاثة وثمانون عاماً وأربعة أشهر. فالعمل في هذه الليلة لمن وفقه الله خير من العمل في ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقوله «إيماناً واحتساباً» يعني إيماناً بالله وبما أعد فيها من الثواب للقائمين فيها واحتساباً للأجر وطلب الثواب. وهذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: «تحرروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». ولن تظفر بهذه الليلة إلا إذا قمت ليالي العشر كلها. فقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم ليكثر عملهم من طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء فيزدادوا تقرباً إلى الله تعالى وثواباً. وأخفاها أيضاً اختباراً للعباد ليتبين بذلك من كان جاداً في طلبها حريصاً عليها من كان كسلاناً متهاوناً فإن من حرص على شيء جد في طلبه...

أرأيتم لو أعلن عن مساهمة في شركة يأمل فيها الناس حصول الربح أليسوا يزدحمون على المساهمة فيها و يتحملون التعب وبذل الأموال في سبيل ذلك. ومن فاتته الفرصة منهم ندم ندامة شديدة. فما بالهم يعرضون عن المساهمة في الجنة لدى أرحم الراحمين الذي يربح العاملون عنده أضعافاً مضاعفة بغير حساب.. إنه الحرمان والخذلان ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال تعالى: «بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى» (١)

أيها المسلمون: ومن خصائص هذه العشر المباركة مشروعية الاعتكاف فيها. وهو اللبث والبقاء في المساجد مدة هذه الأيام المباركة للتفرغ لطاعة الله عز وجل وهو من

(١) سورة الأعلى — آية ١٦-١٧

السنن الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم واعتكف أصحابه معه وبعده. والاعتكاف: انقطاع عن الناس وتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده طلباً لفضله وثوابه وطلباً لليلة القدر و يشغل المعتكف بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة ولا يخرج من المسجد إلا لما لابد له منه — ليخلو بربه و يتزود لنفسه من الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم فينبغي لمن يتمكن من إحياء هذه السنة أن يبادر إليها لما فيها من الأجر العظيم وتدريب النفس على الطاعة. إن إحياء هذه السنة التي تركت في هذا الزمان أولى من العمرة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في هذا الشهر بينما كان يعتكف الى أن لقي ربه. وترى الناس يتسابقون الى العمرة ويحرصون عليها وهذا شيء طيب ولكن الاعتكاف أكدر. ومن لم يتمكن من الاعتكاف فليحافظ على بقية الطاعات الواجبة والمستنونة من التبكير الى المساجد والجلوس فيها لتلاوة القرآن والذكر والعبادة «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً» (٢) قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: «انا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر» (٣) وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(٢) سورة المزمل — آية ٢٠

(٣) سورة القدر — آية ١-٥

(فصل)

(من فضائل هذه الأمة)

قال الله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١) فامتدحهم الله جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى ولهم فضل كثير على غيرهم من الأمم والمراد بهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم خير الأمم وأكرمها على الله وجعل الله نبيهم أفضل الأنبياء، وكتابهم خير الكتب، ومهيماً عليها وخصهم الله بشهر رمضان، وبليلة القدر، وبزيادة مضاعفة الأعمال، إلى غير ذلك وفيهم العلماء والزهاد الذين لم يكن في الأمم السالفة مثلهم.

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(من أسباب المغفرة)

عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وكنا في صُفَّةِ المدينة، فقام علينا فقال: «إني رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسِطَ عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً — وفي رواية: يلهث عطشاً — كلما دنا من حوض منع وطرده، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوساً حلقة حلقة كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجه من الظلمة وأدخله في النور ورأيت رجلاً من أمتي يتقى وهج النار وشررها بيده، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، وظللت على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يامعشر المؤمنين، إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتي ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه

ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه، فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلا من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلا من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى. ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته على فاقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه. فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» رواه الحافظ أبو موسى المديني، وبنى كتابه عليه. وأخرجه الطبراني أيضاً وهذا الحديث حديث عظيم جليل شريف. كان أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأنه ويقول: شواهد الصحة عليه. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الحادي والعشرون في فضل الاعتكاف ولزوم المساجد

قال الله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يُسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار».(١)

هاتان الآيتان في ذكر المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يُعبد فيها ويوحَّد، وفيها أمر من الله تبارك وتعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق بها. وقد مدح الله تعالى هؤلاء الرجال بأنهم في بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

قال ابن عباس: يتلى كتابه. وهذا فيه إشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي صاروا بها غُمَّاراً للمساجد، ويُسَبِّحون له في أول النهار وآخره فيها. قال ابن عباس أيضاً: المراد به صلاة الفجر والعصر، وامتدحهم تعالى بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أى يقدمون طاعته ومراده ومحبته، على مرادهم ومحبتهم. وقد وردت أحاديث في فضل لزوم المساجد وبنائها، والتردد إليها وتنظيفها فنشير إلى بعضها للفائدة.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله؛ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل

(١) سورة النور آية ٣٦-٣٧

تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله عز وجل: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)» رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهما.

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه البزار وابن حبان.

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال — عند قول الناس فيه — حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم على، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة».

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله بنور يوم القيامة» رواه الطبراني وفي لفظ ابن حبان قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المساجد آتاه الله نوراً يوم القيامة».

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود وغيره.

وأخرج الطبراني عن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره»

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مسلم وغيره

ولما رأى صلى الله عليه وسلم نخامة في قبلة المسجد تغيظ على الناس ثم حكها، قال الراوى: واحسبه قال فدعا بزعفران فلطخه به وقال: «إن الله عز وجل قَبَلَ وجه أحدكم إذا صلى فلا يبصق بين يديه» رواه البخارى ومسلم والاحاديث في هذا الباب كثيرة.

فمما تُصان عنه المساجد القاذورات، كالבصاق والمخاط فضلاً عن غيره. ومما تُصان عنه المساجد البيع والشراء ورفع الأصوات وإنشاد الضالة ويمنع منها جنب وحائض، فلا يلبثان بغير وضوء. وتُصان المساجد عن الخوض بكلام لا فائدة فيه من فضول الكلام وحديث الدنيا، وعن الصغير والمجنون، ويحرم التكسب في جميع الصناعات فيها. ويستحب إذا دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى، ويقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك، ولا يجلس حتى يصلى ركعتين وهو على وضوء، وأن يشتغل بذكر الله والقراءة والصلاة، وإذا خرج من المسجد قال ذلك، إلا أنه يقول: وافتح لى أبواب فضلك. ومن لزوم المساجد الاعتكاف فيها.

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده»

وعنها رضى الله عنها قالت: «السنة للمعتكف ألا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد له منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع» رواه أبو داود وآخره موقوف.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال، واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الوسطى، ثم العشر الأخيرة يلتبس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخيرة، فداوم على اعتكافه حتى

لحق بربه عز وجل، وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلوفيه بربه عز وجل.
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل) في فضل عمارة المساجد

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ» (١) هذه منقبة عظيمة، وشهادة من الله تعالى بالإيمان لعمارة المساجد. وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» والمراد بعمارة المساجد عمارتها بالذكر والصلاة والتوحيد. لا مجرد العمارة بالبناء مع الشرك بالله.

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ الْمُتَزَرَّ وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقُظُ أَهْلَهُ».

وفي رواية: «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيَّقُظُ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمُتَزَرَ».

ولمسلم عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، فمنها: الاعتكاف، فإنه كان يداوم عليه في العشر الأواخر حتى توفاه الله تعالى، يطلب ليلة القدر، وإنما كان يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لاشغاله وتفريغاً لباله، وتخلياً لمناجاة ربه، وذكره ودعائه.

وكان يحتجز حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخاطبهم، ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب إمام السنة أحمد بن حنبل إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه، وذكره

(١) سورة التوبة آية ١٨

ودعائه. وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية. وإنما يكون في المساجد، لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها.

وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة؟ فقال: هو في النار^(١)

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصاً في شهر رمضان، خصوصاً في العشر الأواخر منه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله؛ فالاعتكاف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه، كما كان داود الطائي يقول في ليله: همك عطل علىّ الهموم، وحال بيني وبين الشهاد. وشوقى إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أوثقت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال^(٢)

ومنها: إحياء الليل. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبى ليلالى العشر الأواخر من رمضان.

وقال في حديث أبى هريرة لما ذكر رمضان: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه النسائي.

وفي رواية له قال: «إن الله فرض صيام رمضان وسنت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»

(١) رواه الترمذي موقوفاً

(٢) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص ٢٠٣

وإحياء الليل يحتمل أن المراد: إحياء الليل كله، لحديث عائشة من وجه ضعيف، وفيه: «وأحيا الليل كله» ويحتمل أن المراد بإحياء الليل: إحياء غالبه، فقد فسر بعضهم بإحياء نصف الليل، وقال: من أحيا نصف الليل فقد أحيا الليل. وذكر بعض الشافعية: أنه تحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل.

وكان صلى الله عليه وسلم يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر، دون غيرها من الليالي. وفي حديث أبي ذر: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قام ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وذكر أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين»(*)

وأخرج الطبراني من حديث علي «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطبق الصلاة» وقال سفيان الثوري: «أحب إلى إذا دخل العشر الأواخر، أن يتجهد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطافوا ذلك».

فاعلم أنه يجتمع للمؤمن في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام؛ فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفي أجره بغير حساب؛ فينبغي للإنسان أن يجتهد في هذه الليالي المباركة في القيام والقراءة والدعاء؛ فهذه عادة السلف في كل الأزمان، لا سيما في شهر رمضان، لا سيما في هذه العشر^(١)

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٩٦-٢١٤

(٥) رواه أهل السنن وصححه الترمذي

الباب الثاني والعشرون في فضل قيام الليل

قال الله تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» سورة السجدة أية ١٦-١٧

وقال جل ذكره: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون» سورة الذاريات أية ١٧-١٨

وقال عز وجل: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» سورة الإسراء أية ٧٩

هذا مدح من الله تبارك وتعالى للقائمين بالليل، وحث وترغيب في قيام الليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، أثنى عليهم، ونوه بذكرهم فينبغي للإنسان ألا تفوته هذه الغنائم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل في جوف الليل ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)» (١)

وعن عائشة رضى الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً» متفق عليه.

كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل ولم يكن يدعه لا حضراً ولا سفراً. وكان له بالليل والنهار أربعون ركعة يداوم عليها ولا يتركها، وتارة يزيد ما شاء الله عليها، فسبعة عشر ركعة الفرائض، وإحدى عشرة ركعة قيام الليل على الدوام، وعشر ركعات السنن الراجعة أو اثنتا عشرة، ذلك سوى صلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك.

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الورد دائما إلى الممات. فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة (١)
وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله وشد المنزر، أى: جد واجتهد في العبادة على قول من فسره بالمعنى.
والصحيح: أنه يعتزل النساء كما ورد مفسرا بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان.

وفي حديث أنس: «وطوى فراشه واعتزل النساء»
وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف غالبا العشر الأواخر والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع، قال الله تعالى: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد» بل كان يصيب من أهله في العشرين الأول، ثم يعتزل النساء، ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.
كان يطرق فاطمة وعليا فيقول لهما: «ألا تقومان فتصليان؟»، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده، وأراد أن يوتر.
وقد ورد الترغيب في ايقاظ أحد الزوجين الآخر للصلاة، فإن أبى نضح الماء في وجهه.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» رواه أبو داود وغيره.

وفي رواية له عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلى أو صليا ركعتين جميعاً كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».
وقد قال الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى»

(١) أنظر زاد المعاد لابن القيم ٣٢٧/١ بتحقيق الأرناؤط

وفي الموطأ: «أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها».

ولصلاة الليل على صلاة النهار فضل، لأنها تبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص وأشق على النفوس، فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر وأحضر للقلب، ويتواطأ هو واللسان على الفهم.

وصلاة الليل منهاة عن الإثم، ولهذا لما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فلاناً يصلى من الليل؛ فإذا أصبح سرق؟ قال: «سينهاه ما تقول».

ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو وقت فتح أبواب السماء، واستجابة الدعاء واستعراض حوائج السائلين. وفي الليل ساعة الإجابة، وفيه النزول الإلهي؛ فينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يحرص على اغتنام فرص الخيرات.

فعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، وذلك كل ليلة»، رواه مسلم

واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يطيل القراءة في قيام رمضان في الليل خاصة أكثر من غيره وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(فصل) وما جاء في إحياء الليل

قال الله تعالى: «إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(*) .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بُثِّ عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة، ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: (إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح» .

وقال ابن ماجه: حدثنا علي بن محمد، وساق بالإسناد إلى النضر بن شيبان قال: لقيت أبا سلمة بن عبد الرحمن، فقلت: حدثني بحديث سمعته من أبيك يذكره في شهر رمضان، قال: نعم حدثني أبي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر شهر رمضان فقال: «شهر كتب الله عليكم صيامه، وسننت لكم قيامه؛ فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (ورواه أحمد والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف) (١)

ففي هذا دليل على تأكيد استحباب قيام رمضان، لاسيما العشر الأواخر منه. كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ أَحْيَا اللَّيْلَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَأَيَّقُظَ أَهْلَهُ» قوله «شَدَّ الْمِئْزَرَ» أى ترك الجماع وشمر في العبادة.

(١) أنظر المنتقى من أخبار المصطفى ٥٤٠/١ حديث رقم ١٢٢٦

(٥) سورة آل عمران آية ٩٠-٩١

واعلم رحمك الله تعالى، أنه ينبغي للصائم القائم الذي يرجو ثواب صيامه وقيامه أن يحفظ صيامه عما يشوبه من المعاصي، كقول الزور والكذب والغيبة، والأقوال التي لا يترتب عليها مصلحة دينية، وعن الاستماع إلى اللهو والأغاني وغير ذلك، وأن يخلص عمله لربه سبحانه وتعالى، ولا يرائي بعمله أحدا.

فقد قال سبحانه وتعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا»^(١)

وأن يحافظ على الصلوات المكتوبة في أوقاتها مع الجماعات، ولا يفعل ما يفعله غالب الناس الآن، فإن بعضهم كان يقوم بالنافلة ويدع الفرض كان يقوم من الليل فينام النهار كله ويدع الأوقات المفروضة.

واعلم أن أهم ما على الإنسان: المحافظة على الصلاة في الجماعات؛ فقد وردت الأخبار الصحيحة على الترغيب فيها والمحافظة عليها والترهيب من تركها والتهاون بها. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بسبع وعشرين درجة» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح

وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما: أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) سورة الكهف أية ١١٠

الباب الثالث والعشرون

ما جاء في السبع الأواخر وطلب ليلة القدر وفضل الاجتهاد في الأعمال

قال الله تعالى: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين» (١)

هذا فيه مدح لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن به من أحبار أهل الكتاب بأن هذه الأمة — وهم المنعوتون بهذه الصفات — أمة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه ومتبعة نبي الله فهي قائمة، يعنى: مستقيمة «يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» أى: يقومون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم فهم يتهجدون بليهم سجداً وقياماً، يتلون آيات الله ويتدبرونها، «ويؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات» وفي هذا مدح لهم وتنويه بذكرهم.

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في ليلة القدر اختلافاً كثيراً. والصحيح أنها في شهر رمضان وتختص بالعشر الأواخر منه وليالى الوتر آكد، ولكن اختلف في تعيينها.

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد توأمت في السبع الأواخر. فمن كان متحربها فليتحربها في السبع الأواخر».

وفي صحيح مسلم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي» وقال صلى

(١) سورة آل عمران آية ١١٣-١١٤

الله عليه وسلم في حديث عائشة المتفق عليه «تخروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» وفي رواية للبخاري: «في الوتر من العشر الأواخر من رمضان».

وله أيضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان: في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى».

وفي رواية له: «هي في العشر؛ في سبع يمضين. أوسع يبقين».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كم مضى من الشهر؟ قلنا: مضت ثنتان وعشرون وبقى ثمان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا بل مضت ثنتان وعشرون وبقى سبع، اطلبوها الليلة».

وأخرج أحمد وغيره حديث أبي بكرة وفيه أنها تطلب في الأوتار ويدل على ذلك حديث عبد الله بن أنيس: «أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك مساء ليلة ثلاث وعشرين. فقال: التمسوها هذه الليلة، فقال رجل: من القوم: فهي إذن يا رسول الله أولى ثمان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها ليست بأولى ثمان؛ ولكنها أولى سبع إن الشهر لا يتم» أخرجه أحمد

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فصل

فيما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم في جنات النعيم

قال تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»^(١)

اعلم أن الله تعالى أعد لأوليائه في جناته النعيم المقيم، وجع لهم فيها بين الأمن والخلود والنعيم والبهجة وأصناف اللذة والسرور.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله تعالى «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون» رواه الطبراني.

فنسأل الله تعالى ألا يحرمنا هذا النعيم بذنوبنا، إنه جواد كريم.

(١) سورة السجدة أية ١٦-١٧

فصل

في وصف الجنة

قال في حادى الأرواح — بعد سياق هذه الآية «فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»: فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس؟ وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم حتى يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة؟ وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبيرة، ونعمة، في محلة عالية بهية»^(١) ولو لم يكن من فضل الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفاً وفضلاً، كما في سنن أبى داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة».

وكيف يُقَدَّرُ قَدْرُ دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب ونقص؟

فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصائها فهي اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها، فما فيها من شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمارها؟ فأمثال القلال، ألين من الزبد، وأحلى من العسل. وإن سألت عن

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان

ورقها؛ فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها؛ فأنهار من لبن لم يتغير طعمه؛ وأنهار من خمر لذة للشاربين؛ وأنهار من عسل مصفى؛ وأنهار من ماء غير آسن. وإن سألت عن طعامهم وشرابهم؛ ففاكهة مما يتخيرون؛ ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسليم والزنجبيل والكافور. وإن سألت عن آيتهم؛ فآنية الذهب والفضة؛ في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها؛ فبين المصرعين مسيرة أربعين من الأعوام؛ وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها؛ فإنها تستفز بالطرب من يسمعها. وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة؛ يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها؛ فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها؛ فالخيمة الواحدة من درة مجوفة؛ طولها ستون ميلا من تلك الخيام. وإن سألت عن علائها وجواسقها؛ فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجرى من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها؛ فانظر الى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشهم، فبطائنهم من استبرق مفروشة في أعلى الرتب وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي الحجال مزررة بازرار من الذهب، فمالها فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم أبى البشر.

وإن سألت عن سماعهم، فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ،

وعلى الرءوس ملابس التيجان»^(١).
اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد. وصلى الله وسلم على
نبينا محمد.

(١) أنظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ١٧٤-١٧٨

الباب الرابع والعشرون في الحث على الدعاء

قال تعالى في كتابه العزيز ومبرم كلامه البليغ الوجيز «وإذا سألك عبادى عنى فإننى قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون» (*)

هذا إخبار من الله جل جلاله وتقدس أسمائه بأنه لا يخبى دعاء داع، ولا يشغله عنه شىء. بل هو سميع الدعاء قريب الإجابة. ففيه الترغيب فى الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى.

فروى أبو داود وابن ماجه والترمذى عن سلمان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن ربكم حيبى كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً»، أى خائبين. وصححه الحاكم (١)

وأخرج ابن أبى حاتم عن معاوية بن حيدة «أن أعرابيا قال: يا رسول الله أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: (وإذا سألك عبادى عنى فإننى قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى) إذا دعوتهم أن يدعونى فدعونى استجبت لهم» (٢)

فإن الله تعالى يحب من عباده أن يدعوه ويتقوه ويطيعوه. وقد فتح بابه للطالبيين، وحث على دعائه فى كتابه المبين، فهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين. لا تختلف عليه اللغات، ولا تشتهبه عليه الأصوات، ولا يتبرم بالحاح ذوى الحاجات، ولا تغيض يمينه كثرة النفقات.

(١) انظر بلوغ المرام من ادلة الأحكام حديث رقم ١٥٨٠

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ٢١٨/١

(٥) سورة البقرة آية ١٨٦

ولهذا يدعو العباد إلى توحيده ومعرفته، و يفرح بتوبة التائب إذا تاب إليه أشد من فرح الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه، وقد ضلت عنه في الأرض المهلكة، إذا أيس منها ثم وجدها.

وعن أبى ذر الغفاري رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»، رواه مسلم (من موانع إجابة الدعاء)

واعلم أن الله تعالى قد أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة وقد يدعو الإنسان ولا يستجاب له، ويومن بالإلحاح ولا تقضى حاجته. وهذا إنما آثي من قبل نفسه، ومن الحجب المانعة من قبول الدعاء، وذلك لأمر:

منها: أكل الحرام ولباسه، فإن هذا يمنع قبول الدعاء كما في حديث صاحب السفر: «أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟»، رواه مسلم

ومنها غفلة القلب. أن يدعو الله وقلبه غافل فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه» (رواه الترمذي والحاكم)

ومنها: أن يدعو بإثم وقطيعة رحم
ومنها: أن يستعجل الإجابة ويتحسر. يقول قد دعوت ودعوت فلم أراه يستجاب لي. وقد يختار الله له ما هو خير له وأدلة ذلك كثيرة.

(وللدعاء آداب. وللإجابة أسباب).

فمن آداب الدعاء: أن يرصد به الأوقات الفضيلة كوقت السحر، وآخر ساعة من يوم الجمعة ورمضان وعشر ذى الحجة.

ومنها: أن يثنى على الله في أوله. ويصلي على نبيه في آخره.
ومنها السبب الأعظم، وهو أكل الحلال. وحضور القلب وأن يدعو الله وهو صائم، ولا سيما عند الفطر.

ومنها: الدعاء في السجود. فإن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.
ومنها: إظهار الخضوع والخشوع والتذلل والمسكنة بين يدي الملك الأعلى، و يدعوه راجيا قبول دعائه، خائفاً من شؤم ذنبه، قد انطرح لباب مولاه وعفر خده بعتبة بابه، وانكسر قلبه وافترق لربه، جل جلاله، وتقدست أسماؤه. فما أقرب القبول والإجابة، وما أسرع العطف من السيد على عبده إذا رآه بهذه المثابة، وما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد انكسر لأجله، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه حياء وخجلا من الله.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الخامس والعشرون

في الحث على التوبة

إخواني: اختتموا شهر رمضان بالتوبة إلى الله من معاصيه. والإجابة إليه بفعل ما يرضيه. فإن الإنسان لا يخلو من الخطأ والتقصير. وكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وقد حث الله في كتابه وحث النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه على استغفار الله تعالى والتوبة إليه فقال سبحانه: «وَأَنِ اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يَتَّبِعْكُم مِّنَ عَذَابٍ حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» سورة هود آية ٣.

وقال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ» (١) وقال تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» (٢) وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار» (٣) وقال تعالى: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» (٤) والآيات في ذكر التوبة عديدة.

وأما الأحاديث فمنها، عن الأغر بن يسار المزني رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب في اليوم مئة مرة». رواه مسلم. وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، رواه البخارى وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه

(١) سورة فصلت — آية ٦

(٢) سورة النور — آية ٣١

(٣) سورة التحريم — آية ٨

(٤) سورة البقرة — آية ٢٢٢

وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح». رواه مسلم. وإنما يفرح سبحانه بتوبة عبده لمحبتة للتوبة والعفو ورجوع عبده إليه بعد هربه منه، وعن أنس وابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن لأبن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب» متفق عليه.

فالتوبة هي الرجوع من معصية الله الى طاعته لأنه سبحانه هو المعبود حقاً، وحقبة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيماً، فإذا حصل من العبد شروء عن طاعة ربه فتوبته أن يرجع إليه ويقف ببابه موقف الفقير الذليل الخائف المنكسر بين يديه.

والتوبة واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها ولا التسويف بها، لأن الله أمر بها ورسوله وأوامر الله ورسوله كلها على الفور والمبادرة لأن العبد لا يدري ماذا يحصل له بالتأخير، فلعله أن يفجأ الموت فلا يستطيع التوبة، ولأن الإصرار على المعصية يوجب قسوة القلب وبعده عن الله عز وجل وضعف إيمانه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان، ولأن الإصرار على المعصية يوجب إلفها والتشبث بها، فإن النفس إذا اعتادت على شيء صعب عليها فراقه وحينئذ يعسر عليه التخلص من معصيته ويفتح عليه الشيطان باب معاص أخرى أكبر وأعظم مما كان عليه ولذلك قال أهل العلم وأرباب السلوك: إن المعاصى بريد الكفر ينتقل الإنسان فيها مرحلة مرحلة حتى يزيع عن دينه كله نسأل الله العافية والسلامة.

والتوبة التي أمر الله بها هي التوبة النصوح التي تشمل على شرائط التوبة وهي خمسة:

الأول: أن تكون خالصة لله عز وجل بأن يكون الباعث لها حب الله وتعظيمه

ورجاء ثوابه والخوف من عقابه فلا يريد بها شيئاً من الدنيا ولا ترلفاً عند مخلوق، فإن أراد هذا لم تقبل توبته لأنه لم يتب إلى الله وإنما تاب إلى الغرض الذي قصده.

الثاني: أن يكون نادماً حزناً على ما سلف من ذنبه يتمنى أنه لم يحصل منه لأجل أن يحدث له ذلك الندم إنابة إلى الله وانكساراً بين يديه ومقتناً لنفسه التي أمرته بالسوء فتكون توبته عن عقيدة وبصيرة.

الثالث: أن يقلع عن المعصية فوراً، فإن كانت المعصية بفعل محرم تركه في الحال، وإن كانت المعصية بترك واجب فعله في الحال إن كان مما يمكن قضاؤه كالزكاة والحج، فلا تصح التوبة مع الإصرار على المعصية فلو قال: إنه تاب من الربا مثلاً وهو مستمر على التعامل به لم تصح توبته ولم تكن توبته هذه إلا نوع استهزاء بالله وآياته لا تريده من الله إلا بعداً ولو تاب من ترك الصلاة مع الجماعة وهو مستمر على تركها لم تصح توبته. وإذا كانت المعصية فيما يتعلق بحقوق الخلق لم تصح التوبة منها حتى يتخلص من تلك الحقوق، فإذا كانت معصيته بأخذ مال للغير أو جحده لم تصح توبته حتى يؤدي المال إلى صاحبه إن كان حياً أو إلى ورثته إن كان ميتاً، فإن لم يكن له ورثة أداه إلى بيت المال، وإن كان لا يدري من صاحب المال تصدق به له والله سبحانه يعلم به، وإن كانت معصيته بغيبة مسلم وجب أن يستحله من ذلك إن كان قد علم بغيبته إياه أو خاف أن يعلم بها وإلا استغفر له وأثنى عليه بصفاته المحمودة في المجلس الذي اغتابه فيه فإن الحسنات يذهبن السيئات.

وتصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره، لأن الأعمال تتبع بعض والإيمان يتفاضل، لكن لا يستحق الوصف المطلق للتوبة وما يستحقه التائبون على الإطلاق من الأوصاف الحميدة والمنازل العالية حتى يتوب إلى الله من جميع الذنوب.

الشرط الرابع: أن يعزم على أن لا يعود في المستقبل إلى المعصية لأن هذه ثمرة التوبة ودليل صدق صاحبها فإن قال: إنه تائب وهو عازم أو متردد في فعل المعصية يوماً ما لم تصح توبته لأن هذه توبة مؤقتة يتحين فيها صاحبها الفرص المناسبة ولا تدل على

كراهيته للمعصية وفراره منها إلى طاعة الله عز وجل.

الشرط الخامس: أن لا تكون بعد انتهاء وقت قبول التوبة فإن كانت بعد انتهاء وقت القبول لم تقبل وانتهاء وقت القبول نوعان. عام لكل أحد وخاص لكل شخص بنفسه.

فأما العام فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع التوبة قال الله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١) والمراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها فسرّها بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل. قال ابن كثير: حسن الإسناد وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» رواه مسلم

وأما الخاص فهو عند حضور الأجل فمتى حضر أجل الإنسان وعين الموت لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه قال الله تعالى: «وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن»^(٢) وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر يعني بروحه» رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن.

ومتى صحت التوبة باجتماع شروطها وقبلت مح الله بها ذلك الذنب الذي تاب منه وإن عظم قال الله تعالى: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم»^(٣)

(١) سورة الأنعام — آية ١٥٨

(٢) سورة النساء — آية ١٨

(٣) سورة الزمر — آية ٥٣

وهذه الآية في التائبين المنيين إلى ربهم المسلمين له قال الله تعالى: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» (١)
فبادروا رحمكم الله أعماركم بالتوبة النصوح إلى ربكم قبل أن يفجأكم الموت فلا تستطيعون الخلاص.

اللهم وفقنا للتوبة النصوح التي تمحبها ما سلف من ذنوبنا ويسرنا لليسرى.
وجنبنا العسرى واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين في الآخرة والأولى. برحمتك يا أرحم
الراحمين. صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين (*)

(١) سورة النساء - آية ١١٠

(*) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص ١٤١

الباب السادس والعشرون

فيما جاء

في ليلة القدر

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم «إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر»

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان» ذكره عنه ابن كثير في تفسيره^(١)

قال المفسرون: بيت العزة في السماء الدنيا، وفي تسميتها بليلة القدر خمسة وجوه.

أحدها: أن القدر هو العظمة، وهى ليلة عظيمة شريفة.

الثاني: أنه الضيق، فهى ليلة تضيق فيها الأرض من الملائكة الذين ينزلون من السماء.

الثالث: أن القدر هو الحكم. فإن الأشياء تقدر فيها.

الرابع: أن من لم يكن له قدر، يصير بمراءاتها ذا قدر.

الخامس: أنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وملائكة ذوو قدر.

وقوله تعالى: «خير من ألف شهر» فيه أقوال.

أحدها: أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح ألف شهر على عاتقه في سبيل الله، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر، التي حمل الإسرائيلي فيها السلاح في سبيل الله تعالى.

(١) أنظر تفسير ابن كثير ٤/٤٢٩

وقال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر.

وقيل قول آخر، وهو أن الرجل كان فيما مضى لا يستحق أن يقال له: عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر، فجعل الله تعالى ليلة القدر خيراً من ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

وقيل قول آخر، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرى أعمار من مضى قبل، فرأى أعمار أمته أقصر من أعمار الأمم قبل، فقال: «لو طالت أعمار أمتي لعملوا مثل ما عملوا، فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خيراً من ألف شهر» التي كان يعبد الله تعالى فيها من كان قبل أمته.

وقيل: إن الألف شهر من هذا الزمان ليس فيها ليلة القدر.

وقوله تعالى «تنزل الملائكة» قال أبو هريرة رضى الله عنه: «الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من الحصى»
وقوله: (والروح) فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه جبريل. قاله الأكثرون. وهو الصحيح. لأن الله تعالى قال (نزل به الروح الأمين) وفي حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة، يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل» رواه البيهقي في شعب الإيمان
والقول الثاني: أن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون

من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

والقول الثالث: أنه ملك عظيم من الملائكة.

وقوله تعالى: (بإذن ربهم من كل أمر) قال المفسرون: تنزل بكل أمر قضاه الله تعالى تلك السنة إلى قابل.

وقوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر) أى ليلة القدر سلام. وفي معنى السلام قولان.

أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء، ولا يرسل فيها الشيطان
والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة (١)

إذا فهمت ذلك، فاعلم أن ليلة القدر ليلة عظيمة شريفة، وأنها باقية لم ترفع
على الصحيح، وأنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر منه، ولكن اختلف في
تعيينها. وذهب بعضهم إلى أنها ليلة سبع وعشرين. ويدل عليه: ما روى مسلم
عن أبي بن كعب أنه كان يحلف على ذلك ولا يستثنى، وكذا زر بن حبیش
وعَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ.

وروى مسلم أيضاً عن أبي بن كعب قال: «إني والله لأعلم أى ليلة هي ليلة
القدر، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع
وعشرين».

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «من كان متحريراً فليتحررها ليلة سبع وعشرين — أو قال: تحروها ليلة سبع
وعشرين — يعنى — ليلة القدر»

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن رجلاً قال: يا رسول
الله، إني شيخ كبير عليل يشق على القيام، فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة
القدر، فقال عليك بالسابعة والعشرين» واسناده على شرط البخاري.

ومما يدل على ذلك أيضاً: قيام النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه في ليلة سبع
وعشرين إلى آخر الليل، حتى خشوا أن يفوتهم السحور. كما في الحديث الذي رواه أحمد
وأصحاب السنن وصححه الترمذي.

ويدل عليه أيضاً «أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع أهله وجمع الناس ليلة
سبع وعشرين» وهذا كله يدل على تأكدها على سائر ليالي العشر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) انظر تفسير ابن الجوزي ٨١/٩

وقرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة ص ٢٦٨

(فصل) في فضل ليلة القدر

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم «حم. والكتاب المبين، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين» سورة الدخان آية ١-٥

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل «إنا أنزلناه في ليلة القدر»، وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» سورة البقرة آية ١٨٥. وهذا قسم بالقرآن على القرآن. فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله (في ليلة مباركة) أي كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فأنزل أفضل الكلام في أفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام لينذر به قوماً عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره، ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الآخروي. ولهذا قال «إنا كنا منذرين» أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده. (فيها) أي في ليلة القدر الفاضلة التي أنزل فيها القرآن (يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدرتي وشرعي حكم الله به من الأرزاق والآجال وغير ذلك. وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتناؤه تعالى بخلقه (١)

(١) أنظر تفسير ابن كثير ١٣٧/٤

وتفسير ابن سعد ١٣٣/٧ ط ١

أسباب المغفرة في رمضان

ينبغي للعبد أن يلح على الله بالدعاء والأستغفار، فإن الاستغفار ختام الأعمال كلها، فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، وشهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران، فمن أسباب المغفرة فيه، صيامه وقيامه وقيل ليلة القدر، فقد قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها، والجمهور على أن الكبائر لا بد لها من توبة نصوح.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وفي رواية النسائي: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». ومن أسباب المغفرة: تفتير الصوم والتخفيف عن المملوك، كما أفاده حديث سلمان المرفوع.

ومنها: الذكر، ففي حديث مرفوع: «ذاكر الله في رمضان مغفور له» رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان. ومنها: الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما، إذا أفطروا يقول: «اللهم يا واسع المغفرة أغفر لي».

ومنها: استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا. فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: آمين. آمين. آمين، قيل يا رسول الله: إنك صعدت المنبر فقلت: آمين. آمين. آمين، فقال: إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل

النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين. ومن أدرك أبوية أو أحدهما فلم يبرهما.
فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين. فقلت: آمين. ومن ذكرت عنده فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت آمين» (١) رواه ابن
حبان في صحيحه وابن خزيمة.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الباب السابع والعشرون في الاهتمام لقبول العمل

قال الله تعالى: «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون». سورة المؤمنون آية ٦٠-٦١ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة» هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا، يا ابنة الصديق. ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم. أولئك الذين يسارعون في الخيرات) رواه الترمذي وابن ماجه.

كان السلف الصالح يهتمون لقبول العمل بعد أدائه.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم: أيقبل منهم أم لا؟ وقد قال تعالى: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله»^(١) فمن كرمه أنه يقبل التوبة ممن تاب إليه ويعفو عما سلف منه ولا يتعاضمه ذنب أن يغفره، فيا إخواني: الله الله في الاجتهاد لترضوا ربكم.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه مسلم عن أبي هريرة بمثله. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٢)

(٢) رواه النسائي

(١) سورة الشورى آية ٢٥-٢٦

واعلم أن أفضل القيام والقراءة ما كان على تدبر ودعاء وتفكر وترتيل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه «كان يتهجّد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة مترسلاً» وهو أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. وروى عن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «إن وافيت ليلة القدر ما أقول؟ قال: قول: اللهم إنك عفوتح العفو فاعف عني»^(١)

واعلم أنه يستحب الدعاء في هذه الليالي المباركة، وفي هذه الليلة خاصة. وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه

فصل فيما جاء في أنهار الجنة

قال الله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا»^(١) وقال تعالى: «يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خَتَامُهُ مِسْكٌ. وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ»^(٢)

قال في حادي الأرواح بعد سياق هذه الآية «مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسنٍ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم»^(٣)

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، ويصير قابضا، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافية للذة شربها، وأفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات الرب تعالى: أن أجرى أنهارا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخلود، وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها. كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا: من الصداع، والغول واللغو، والإنزاف، وعدم اللذة.

(١) سورة الإنسان آية ٦٥

(٢) سورة المطففين آية ٢٥-٢٨

(٣) سورة محمد آية ١٥

من آفات الخمر وأضرارها

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل، وتكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان، وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات. وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته وإهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياما له ولمن يلزمه مؤونته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار وتدلل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن. وكم أهاجت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، ونسخت مودة، ونسجت عداوة. وكم فرقت بين رجل وحبه، فذهبت بقلبه وراحت بلبه. وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة. وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية، وعجلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة. فهي جماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاية النعم وجلالة النقم. ولولم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»^(١) لكفى^(٢)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) إذا لم يثبت عن شربها. رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وفي هذا وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شراب أهل الجنة خمر (أنظر الترغيب والترهيب ٣٢/٤).

(٢) أنظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١١٣-١١٤

الباب الثامن والعشرون

في زكاة الفطر^(١)

الحمد لله العليم الحكيم. العلى العظيم. خلق كل شىء فقدره تقديراً. وأحكم شرائعه ببالغ حكمته بياناً للخلق وتبصيراً. أحده على صفاته الكاملة. وأشكره على آلائه السابغة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب والمصير وسلم تسليماً.

إخواني: إن شهركم الكريم قد عزم على الرحيل ولم يبق منه إلا الزمن القليل فمن كان منكم محسناً فليحمد الله على ذلك وليسأله القبول ومن كان منكم مهملاً فليتب إلى الله وليعتذر من تقصيره فالعذر قبل الموت مقبول.

إخواني: إن الله شرع لكم في ختام شهركم هذا أن تؤدوا زكاة الفطر قبل صلاة العيد وستتكلّم في هذا المجلس عن حكمها وحكمتها وجنسها ومقدارها ووقت وجوبها ودفعها ومكانها.

فأما حكمها فإنها فريضة فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، وما فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى أو أمر به قال الله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً»^(٢) وقال تعالى: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً»^(٣) وقال تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»^(٤) وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم «زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين». متفق عليه.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ محمد الصالح العثيمين

(٢) سورة النساء — أية ١١٥

(٣) سورة الحشر — أية ٧

(٤) سورة النساء — أية ٨٠

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يتطوع بها فلا بأس فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه يخرجها عن الحمل. ويجب إخراجها عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤننته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلاً ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: «فأتقوا الله ما استطعتم»^(١) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. متفق عليه.

وأما حكمها فظاهرة جداً ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيداً للجميع وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم وفيها إظهار شكر نعمة الله باتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» رواه أبو داود وابن ماجه .

وأما جنس الواجب في الفطرة فهو طعام الآدميين من تمر أو بر أو رز أو زبيب أو أقط أو غيرها من طعام بنى آدم، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير وكان الشعير يومذاك من طعامهم كما قال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه: كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر رواه البخارى .

فلا يجزئ إخراج طعام البهائم لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها طعمة

(١) سورة التغابن من آية ١٦

للمساكين لا للبهائم.

ولا يجزىء إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام
الآدميين لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها من الطعام فلا تتعدى ما عينه الرسول
صلى الله عليه وسلم.

ولا يجزىء إخراج قيمة الطعام لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو
رد، وفي رواية من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه مسلم. وأصله في
الصحيحين ومعنى رد مردود. ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم
حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة
من جنس معين فلا يجزىء إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجزىء إخراجها في غير
الوقت المعين. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم عينها من أجناس مختلفة وأقياما مختلفة
غالباً فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً من جنس وما يقابل قيمته من
الأجناس الأخرى. ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها
صدقة خفية فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير
والكبير يشاهدون كيلها وتوزيعها ويتبادلونها بينهم بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها
الإنسان خفية بينه وبين الآخذ، وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي صلى الله عليه
وسلم الذي يبلغ وزنه بالمثاقيل أربعمئة وثمانين مثقالاً من البر الجيد وبالغرامات
كيلوين اثنين وخمسة عشر كيلو من البر الجيد وذلك لأن زنة المثقال أربعة غرامات
وربع فيكون مبلغ أربعمئة وثمانين مثقالاً ألفي غرام وأربعين غراماً. فإذا أراد أن
يعرف الصاع النبوي فليزن كيلوين وأربعين غراماً من البر ويضعها في إناء بقدرها
بحيث تملؤه ثم يكيل به.

وأما وقت وجوب الفطرة فهو غروب الشمس ليلة العيد، فمن كان من أهل الوجوب

حينذاك وجبت عليه وإلا فلا وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب الفطرة وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج فطرته ولو ولد شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب فطرته، لكن يسن إخراجها كما سبق وإن ولد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الفطرة عنه.

وأما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان فكان مناط الحكم ذلك الوقت.

وأما زمن دفعها فله وقتان: وقت فضيلة ووقت جواز.

فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: كنا نخرج في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعاً من طعام. وفيه أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة. ورواه مسلم وغيره.

وقال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته فإن الله يقول: «**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**»^(١) ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة. وأما وقت الجواز فهو قبل العيد بيوم أو يومين ففي صحيح البخاري عن نافع قال: كان ابن عمر يعطى عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطى عن بني وكان يعطيها الذين يقبلونها وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين.

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبق من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

(١) سورة الأعلى آية ١٤-١٥

أما إن أخرها لعذر فلا بأس، مثل أن يصادفه العيد في البرليس عنده ما يدفع منه أو ليس عنده من يدفع إليه. أو يأتي خبر ثبوت العيد مفاجئاً بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة أو يكون معتمداً على شخص في إخراجها فينسى أن يخرجها فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يصادفه ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها. وأما مكان دفعها فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين لا سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة والمدينة أو كان فقرؤه أشد حاجة فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه وكُلَّ من يدفعها عنه في مكان فيه مستحق.

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيعطون منها بقدر حاجتهم ويجوز توزيع الفطرة على أكثر من فقير ويجوز دفع عدد من الفطر إلى مسكين واحد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدر الواجب ولم يقدر من يدفع إليه، وعلى هذا لوجع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيلها وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثان أجزأهم ذلك، لكن ينبغي إخبار الفقير بأنهم لا يعلمون مقدار ما يدفعون إليه لئلا يغتر به فيدفعه عن نفسه وهو لا يدري عن كيله. ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته إذا كالأها أو أخبره دافعها أنها كاملة ووثق بقوله.

اللهم وفقنا للقيام بطاعتك على الوجه الذي يرضيك عنا وزك نفوسنا وأقواننا وأفعالنا وطهرنا من سوء العقيدة والقول والعمل إنك جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب التاسع والعشرون

في ختام الشهر^(١)

إخواني: إن شهر رمضان قرب رحيله وأزف تحويله وإنه شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فمن أودعه عملاً صالحاً فليحمد الله على ذلك وليبشّر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن أودعه عملاً سيئاً فليتب إلى ربه توبة نصوحاً فإن الله يتوب على من تاب. ولقد شرع الله لكم في ختام شهركم عبادات تزيدكم من الله قرباً وتزيد في إيمانكم قوة وفي سجل أعمالكم حسنات فشرع الله لكم زكاة الفطر وتقدم الكلام عليها مفصلاً، وشرع لكم التكبير عند إكمال العدة من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد قال الله تعالى: «ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون»^(٢) وصفته أن يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد، ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلاناً بتعظيم الله وإظهاراً لعبادته وشكره، ويُسر به النساء لأنهن مأمورات بالتستر والإسرار بالصوت. ما أجل حال الناس وهم يكبرون الله تعظيماً وإجلالاً في كل مكان عند انتهاء شهر صومهم، يملأون الأفاق تكبيراً وتحميداً وتهليلاً يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، وشرع الله سبحانه لعباده صلاة العيد يوم العيد وهي من تمام ذكر الله عز وجل، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أمته رجالاً ونساءً، وأمره مطاع لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم»^(٣) وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد مع أن البيوت خير لهن فيما عدا هذه الصلاة.

وهذا دليل على تأكيدها، قالت أم عطية رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله صلى الله

(١) المصدر السابق ص ١٤٦

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥

(٣) سورة محمد آية ٣٣

عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحَيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها» متفق عليه. الجلباب لباس تلتحف فيه المرأة بمنزلة العباءة.

ومن السنة أن يأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر تمرات وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك يقطعها على وتر لقول أنس بن مالك رضى الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً». رواه أحمد والبخاري. ويخرج ماشياً لا راكباً إلا من عذر كعجز وبعد لقول على بن أبى طالب رضى الله عنه: «من السنة أن يخرج إلى العيد ماشياً». رواه الترمذي وقال: حديث حسن. ويسن للرجل أن يتجمل ويلبس أحسن ثيابه كما في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «أخذ عمر جبة من إستبرق — أى حرير — تباع في السوق فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ابتع هذه يعنى اشتريها تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هذه لباس من لا خلاق له وإنما قال ذلك لكونها حريراً». ولا يجوز للرجل أن يلبس شيئاً من الحرير أو شيئاً من الذهب لأنهما حرام على الذكور من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأما المرأة فتخرج إلى العيد غير متجملة ولا متطيبة ولا متبرجة ولا سافرة لأنها مأمورة بالستر منهية عن التبرج بالزينة وعن التطيب حال الخروج.

ويؤدي الصلاة بخشوع وحضور قلب، ويكثر من ذكر الله ودعائه ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، ويتذكر باجتماع الناس في الصلاة على صعيد المسجد اجتماع الناس في المقام الأعظم بين يدي الله عز وجل في صعيد يوم القيامة، ويرى إلى تفاضلهم في هذا المجتمع فيستذكر به التفاضل الأكبر في الآخرة قال الله تعالى «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً» (٤) وليكن فرحاً بنعمة الله

(٤) سورة الإسراء — أية ٢١

عليه بادراك رمضان وعمل ما تيسر فيه من الصلاة والصيام والقراءة والصدقة وغير ذلك من الطاعات فإن ذلك خير من الدنيا وما فيها «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» (٥) فإن صيام رمضان وقيامه إيماناً واحتساباً من أسباب مغفرة الذنوب والتخلص من الآثام، فالمؤمن يفرح بإكمال الصوم والقيام، لتخلصه به من الآثام، وضعيف الإيمان يفرح بإكماله لتخلصه من الصيام الذي كان ثقيلاً عليه ضائقاً به صدره، والفرق بين الفريقين عظيم.

إخواني: إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن لا ينتضى قبل الموت قال الله عز وجل «وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (٦) وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (٧) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات العبد انقطع عمله». فلم يجعل لانقطاع العمل غاية إلا الموت فلتن انقضى صيام شهر رمضان فإن المؤمن لن ينقطع من عبادة الصيام بذلك، فالصيام لا يزال مشروعاً والله الحمد في العام كله. ففي صحيح مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» وصيام ثلاثة أيام من كل شهر قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله». رواه أحمد ومسلم. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث وذكر منها صيام ثلاثة أيام من كل شهر. والأولى أن تكون أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة». رواه أحمد والنسائي. وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفه فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية» وسئل عن صيام

(٥) سورة يونس — آية ٥٨

(٦) سورة الحجر — آية ٩٩

(٧) سورة آل عمران — آية ١٠٢

عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية». وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه وأنزل عليّ فيه». وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أى الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم»، وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم استكمل شهراً قط إلا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان وفي لفظ: كان يصومه إلا قليلاً وعنهما رضى الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام الاثنين والخميس» رواه الخمسة إلا أبا داود فهو له من حديث أسامة بن زيد. وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذى.

ولئن انقضى قيام شهر رمضان فإن القيام لا يزال مشروعاً والله الحمد في كل ليلة من ليالى السنة ثابتاً من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله، ففى صحيح البخارى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: «إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلى حتى تَرِمَ قدماه، فيقال له فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذى وقال: حسن صحيح. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. وصلاة الليل تشمل التطوع كله والوتر فيصلى مثني مثني فإذا خشي الصبح صلى واحدة فأوترت ما صلى.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟»

والرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل صلاة الفجر. فعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم ثنتى عشرة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة وفي لفظ من صلى ثنتى عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة». رواه مسلم.

والذكر أذبار الصلوات الخمس أمر الله به في كتابه وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: «فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» (٨)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم

فاجتهدوا إخواني في فعل الطاعات واجتنبوا الخطايا والسيئات لتفوزوا بالحياة الطيبة في الدنيا والأجر الكثير بعد الممات قال الله عز وجل: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (٩).

اللهم ثبتنا على الإيمان والعمل الصالح وأحينا حياة طيبة والحقنا بالصالحين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٨) سورة النساء — آية ١٠٣

(٩) سورة النحل — آية ٩٧

الباب الثلاثون في وداع شهر رمضان

قال الله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» (١)

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: لما كانت المغفرة والعق كل منهما مرتباً على صيام رمضان وقيامه. أمر الله تعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال: «ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام، وإعانتهم عليه ومغفرته لهم به وعقهم من النار — أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته.

وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه: «اتقوا الله حق تقاته» بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

فيا أرباب الذنوب العظيمة. الغنيمة الغنيمة، في هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض ولاها قيمة، فمن يُعْتَق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة. يامن أعتقه مولاه من النار، إياك أن تعود بعد أن صرت حراً إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وتتقرب إليها؟ وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟ ينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النار، وهي متيسرة في هذا الشهر.

وفي حديث سلمان الفارسي المرفوع الذي في صحيح ابن خزيمة: «من فطر صائماً كان عتقاً له من النار، ومن خفف فيه عن مملوكه كان له عتقاً من النار» وفيه أيضاً: «فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

لا غنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: شهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتستعيدون به من النار» فهذه الخصال الأربع المذكورة في الحديث كل منها سبب للعتق والمغفرة. فأما كلمة التوحيد فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محواً، ولا تبقى ذنباً ولا يسبقها عمل وهى تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار. ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح وحين يمسي أعتقه الله من النار، ومن قالها مخلصاً من قلبه حرمه الله على النار.

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره. وقد سبق حديث أبى هريرة المرفوع: «ويغفر فيه - يعنى شهر رمضان - إلا لمن أبى قالوا: يا أبا هريرة، ومن أبى؟ قال: من أبى أن يستغفر الله عز وجل»^(١)

قال الحسن: أكثروا من الاستغفار، فإنكم لا تدرزون متى تنزل الرحمة. وقال لقمان لابنه: يا بني، عود لسانك الاستغفار، فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلاً. وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله: «فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك» وفي بعض الآثار: أن إبليس قال أهلك الناس بالذنوب، وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغواً كان كفارة لها، فكذاك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث.

(١) ذكره ابن رجب في اللطائف ص ٢٢٥

ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إن صدقة الفطر للصائم كسجدة السهو للصلاة.

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: قولوا كما قال أبوكم آدم: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»^(١)

وقولوا كما قال نوح عليه السلام: «والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين»^(٢)

وقولوا كما قال موسى عليه السلام: «رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي»^(٣)

وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: «لا إله إلا انت سبحانك إنني كنت من

الظالمين»^(٥)

واعلم أن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم حر، ذكر وأنثى، كبير وصغير.

وتجب على السيد عن عبده. بشرط أن تكون فاضلة عن قوته وقوت من يموه يوم العيد

وليلته، وهى صاع من بر، أو صاع من شعير، أو صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع

من أقط، ويجزئ كل حب وثمر يقات، ولا يجزئ الرديء قال الله تعالى: «ولا تيمموا

الخبث منه تنفقون. ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه»^(٤) معنى ذلك أنه لو اهدى

لمخرج الرديء مثل الرديء الذى أخرجه صدقة لم يأخذه إلا حياء وإغماضا.

ومصرفها مصرف الزكاة، فتدفع الفطرة^(٥) إلى الفقراء وأهل الزكاة ويستحب

إخراجها عن الجنين الذي في البطن، فإن لم يكن عنده ما يكفي من يموه، فإنه يبدأ

بنفسه ثم بزوجه ثم رقيقه ثم أمه ثم أبيه ثم ولده، ثم الأقرب فالأقرب في الميراث. ويجوز

تقديمها قبل العيد بيوم أو بيومين. والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة. وتجب

(١) سورة الأعراف آية ٢٣

(٢) سورة هود آية ٤٧

(٣) سورة القصص آية ٦

(٥) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص ٢٢٦-٢٢٨

(٤) سورة البقرة آية ٢٦٧

(٥) الفطرة زكاة الفطر.

بغروب الشمس ليلة عيد الفطر فما كان بعد الغروب فلا يجب له فطره .
فهذا بعض ما يتعلق بالأسباب الجالبة لقبول الصيام والراقعة لخروقه .
ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضى به عنا إنه جواد كريم .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

العيد

العيد هو موسم الفرح والسرور وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا أما هو بمولاهم إذا فازوا باكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضلته ومغفرته كما قال تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» سورة يونس آية ٥٨.

قال بعض العارفين: ما فرح أحد بغير الله إلا لغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه.

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ان الله قد ابدلكم يومين خيراً منهما يوم الفطر والأضحى» أخرجه أبو داود والنسائي باسناد صحيح. والحديث دليل على أن اظهار السرور في العيدين مندوب وان ذلك من الشريعة فيجوز التوسعة على العيال في الأعياد بما يحصل لهم من ترويح البدن وبسط النفس مما ليس بمحظور ولا شاغل عن طاعة الله.

وأما ما يفعله كثير من الناس في الأعياد من التوسع في الملاهي والملاعب فلا يجوز لأن ذلك خلاف ما شرع لهم من اقامة ذكر الله فليست الأعياد للهو واللعب والاضاعة وانما هي لاقامة ذكر الله والاجتهاد في الطاعة. فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد: عيد يتكرر كل أسبوع وعيدان يأتيان في كل عام مرة من غير تكرار في السنة.

فأما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات وهي أعظم اركان الإسلام ومبانيه بعد الشهادتين.

واما العידان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فأحدهما. عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو

الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم إستوجبوا من الله المغفرة والعق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب اكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم و يرجعون من عيدهم بالمغفرة.

والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ومبانيه فاذا أكمل المسلمون حجبهم غفر لهم. فهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب^(١)

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العيد:

كان يلبس أجمل ثيابه و يأكل في عيد الفطر قبل خروجه قمرات و يأكلهن وتراً — ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً.

وأما في عيد الأضحى فلا يأكل حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته. وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ليتسع الوقت قبلها لتوزيع الفطرة و يعجل صلاة عيد الأضحى ليتفرغ الناس بعدها لذبح الأضاحي. قال تعالى: «فصل لربك وانحر». سورة الكوثر آية ٢

وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج لصلاة العيد حتى تطلع الشمس و يكبر من بيته إلى المصلى.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصل ركعتين يكبر في الأولى سبعاً متوالية بتكبير الإحرام و يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات ولكن ذكر عن ابن مسعود أنه قال: يحمد الله و يثنى عليه و يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص ٢٨٥—٢٨٨

وكان ابن عمر يرفع يديه مع كل تكبيرة.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتم التكبير أخذ في القراءة فقرأ في الأولى الفاتحة ثم «ق» وفي الثانية «اقتربت» وربما قرأ فيها بـ«سبح» و«الغاشية». فإذا فرغ من القراءة كبر وركع ثم يكبر في الثانية خمساً متوالية ثم أخذ في القراءة فإذا انصرف قام مقابل الناس وهم جلوس على صفوفهم فيعظهم ويأمرهم وينهاهم.

وكان يخالف الطريق يوم العيد فيذهب من طريق ويرجع من آخر. (١)

وكان يغتسل للعידين، وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه كلها بالحمد وقال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم» رواه أحمد وغيره. وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم العيد ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما» أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما.

والحديث دليل على أن صلاة العيد ركعتين وفيه دليل على عدم مشروعية النافلة قبلها وبعدها في موضعها. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (*).

(٥) من رسالة رمضان للمؤلف عبد الله الجار الله ص ٩٥
(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد جزء ١ ص ٢٥٠-٢٥٤ لابن القيم رحمه الله تعالى.

أدعية جامعة نافعة لا يستغنى عنها

قال الله تعالى: «وقال ربكم ادعوني استجب لكم» سورة غافر آية ٦٠
وقال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة» رواه أصحاب السنن الأربعة.
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .
اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام اجعلنا وجميع المسلمين ممن صام رمضان وقامه
إيماناً واحتساباً فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم يادائم الخير والاحسان يا من كل يوم هو في شأن يا من لا تنفعه الطاعة ولا يضره
العصيان اجعلنا فائزين منك بالمغفرة والرضوان حائزين لأسباب السلامة والفوز والعق
من النيران .
اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل وخصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء
الجزيل .
اللهم اجعلنا ممن صام الشهر واستكمل الأجر وادرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب تبارك
وتعالى .
اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا مجيب دعوة المضطر إذا دعاك نسألك موجبات
رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم
والفوز بالجنة والنجاة من النار .
اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره وباطنه وأوله وآخره وعلايته وسره
يا مالك الملك يا قادراً على كل شيء يا مجيب دعوة المضطر إذا دعاك .
اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .
اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر
كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم .
اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك

الصالحون، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
وعبادك الصالحون.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها
من قول وعمل ونسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار ونسألك بوجهك الجنة
ونعوذ بوجهك من النار.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا
آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر.
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به
جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا .
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ومن درك الشقاء ومن سوء القضاء ومن شماتة
الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك .
اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة
المسيح الدجال .

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت .
اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .
اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعينا من الخيانة
إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يا حي
يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم اعتق رقابنا من النار وأوسع لنا من الرزق الحلال واصرف عنا فسقة الجن والأنس
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم ارحم في الدنيا غربتنا وارحم في القبر وحشتنا وارحم في الآخرة وقوفنا بين يديك .
اللهم اجعل خير أعمالنا آخرها وخير أعمارنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك .
اللهم آنس وحشتنا في القبور وآمن خوفنا يوم البعث والنشور و يسر لنا يا إلهنا الأمور
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام .
اللهم أصلح ولاية أمور المسلمين ووفقهم للعدل في رعاياهم والرفق بهم والاعتناء
بصالحهم وحببهم إلى الرعية وحبب الرعية إليهم .
اللهم وفقهم لصراطك المستقيم والعمل بوظائف دينك القويم واجعلهم هداة مهتدين
برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك والحكم بشريعتك واقامة حدودك .
اللهم وفقهم لإزالة المنكرات وازهار المحاسن وأنواع الخيرات .
اللهم اجعلهم آمرين بالمعروف فاعلين له ناهين عن المنكر تاركين له .
اللهم أصلح أحوال المسلمين وارخص أسعارهم وأمنهم في أوطانهم .
اللهم أصلح شباب المسلمين وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر
والفسوق والعصيان واجعلهم من الراشدين برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات
بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى
النور وبارك لهم في أسماعهم وأبصارهم وأزواجهم وذرياتهم ما ابقيتهم واجعلهم
شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها واتمها عليهم برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا مجيب دعوة المضطر إذا دعاك نسألك أن تعز
الإسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وأن تدمر اعداء الدين وأن تجعل هذا البلد
آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .
اللهم دمر اليهود والكفرة والمشركين والشيوعيين الذين يصدون عن سبيلك و يبدلون دينك
و يعادون المؤمنين . اللهم شتت شملهم وفرق كلمتهم وأدر عليهم دائرة السوء .

اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين برحمتك يا أرحم الراحمين.
اللهم اغفر لجميع موتى المؤمنين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على
ذلك. اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم
واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من
الذنس وجازهم بالحسنات احسانا وبالسيئات عفواً وغفراناً.

اللهم إنك عفوتحب العفوفاعف عنا.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام.
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما.

ربنا لا تترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرأ كما حملته على الذين من

قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا

على القوم الكافرين.

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم.

آمين يارب العالمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

ملاحظات:

أ — من أسباب إجابة الدعاء: أكل الحلال والإلحاح في الدعاء والإيقان بالإجابة وطاعة الله ورسوله بامتثال الأمر واجتناب النواهي وافتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وختمه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ب — ومن موانع الإجابة: أكل الحرام وشربه ولبسه واستبطاء الإجابة وأن يدعو وقلبه غافل لاه أو أن يدعو بإثم أو بقطيعة رحم أو أن يدعو وهو عاص لله ورسوله بترك الواجبات وفعل المحرمات.

ج — ينبغي للمسلم أن يلازم هذا الدعاء دائماً وخصوصاً في الزمان الفاضل والمكان الفاضل كرمضان في حال الصيام وعند الفطر وعند السحور وفي ليلة القدر وفي الحج وعشر ذي الحجة وفي الحرمين الشريفين وفي آخر الليل وبين الأذان والإقامة وفي يوم عرفة ويوم الجمعة وفي السجود و يكرر الدعاء ثلاث مرات. (١)

وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٢)

(١) وينبغي أن يدعى بهذه الأدعية الجوامع في قنوت الوتر وفي دعاء ختم القرآن الكريم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك كما في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث عائشة وصححه بن حبان. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

ومن الدعوات المستجابة الدعاء الذي يؤمن عليه كما في الحديث الذي رواه الحاكم.

(٢) المصدر السابق.

أهم المراجع لوظائف شهر رمضان

- ١ - تفسير ابن كثير
- ٢ - لطائف المعارف لابن رجب
- ٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم
- ٤ - الترغيب والترهيب للمنذرى
- ٥ - قرّة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة لابن الجوزى.
- ٦ - النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.
- ٧ - صحيح البخاري.
- ٨ - صحيح مسلم.
- ٩ - حادي الأرواح لابن القيم.
- ١٠ - عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان للشيخ ابراهيم بن عبيد.
- ١١ - تفسير ابن الجوزي
- ١٢ - رسالة رمضان تأليف عبد الله الجار الله.
- ١٣ - مجالس شهر رمضان لابن عثيمين.
- ١٤ - مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند.
- ١٥ - خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين.
- ١٦ - خطب الشيخ صالح الفوزان.
- ١٧ - بهجة الناظرين للمؤلف عبد الله الجار الله.
- ١٨ - الثمار اليانعة للمؤلف عبد الله الجار الله.

فهرس كتاب

الموضوع	إتحاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان	الصفحة
المقدمة		٣٠
الباب الأول: في البشارة بقدوم شهر رمضان		٥٠
فصل: في التهئة بدخول شهر رمضان		٩
الباب الثاني: في صوم رمضان ومن يجب عليه		١١
فصل: في فضل تلاوة القرآن وتدبره		١٦
الباب الثالث: في فضل شهر رمضان المبارك		١٩
فصل: في فضل هذا الشهر على غيره من الشهور		٢٦
الباب الرابع: في فضل صيام رمضان وقيامه مع بيان أحكام مهمة		
قد تخفى على بعض الناس		٢٩
الباب الخامس: الاجتهاد في رمضان		٣٧
فصل: في المسابقة إلى الخيرات		٤١
الباب السادس: في فضل القائمين بالقرآن من هذه الأمة وما للصائم عند فطره		٤٣
فصل: في الحث على التأدب مع القرآن وآداب القراءة		٤٧
الباب السابع: في الصلاة والمحافظة عليها		٤٩
فصل: في وجوب الطمأنينة في صلاة التراويح وغيرها من الصلوات		٥٥
الباب الثامن: في فضائل شهر رمضان		٥٩
فصل: في المقصود من الصيام		٦٤
الباب التاسع: في خصائص شهر رمضان		٦٧
فصل: في ثواب صيام شهر رمضان		٧٠
الباب العاشر: من لوازم الصوم وفوائده		٧٣
الباب الحادى عشر: ما جاء في العشر الأوسط من رمضان وفضل الإنفاق والجود		٧٧

الباب الثاني عشر: في فضل قيام رمضان وتلاوة القرآن	٨١.....
فصل: في فضل تلاوة القرآن	٨٣.....
الباب الثالث عشر: من آداب الصيام وفوائده	٨٥.....
فصل: في فضل الكرم والجود في شهر رمضان	٨٨.....
فصل: قال الله تعالى : «و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. الى آخر الآية»	٩١.....
الباب الرابع عشر: تنبيه وتذكير لأهل الأموال	٩٥.....
الباب الخامس عشر: في أهمية الزكاة في الإسلام	١٠١.....
الباب السادس عشر: في بحوث هامة حول الزكاة	١٠٥.....
الباب السابع عشر: ما جاء في غزوة بدر	١١١.....
الباب الثامن عشر: في فضل تلاوة القرآن والعناية به	١١٥.....
فصل: في الحث على تدبر القرآن والتحذير من الغفلة	١٢٠.....
الباب التاسع عشر: في فوائد الصيام وآدابه	١٢٣.....
فصل: في فضائل القرآن الكريم	١٢٧.....
الباب العشرون: ما جاء في العشر الأواخر من رمضان	١٣٣.....
فصل: من فضائل هذه الأمة — وأسباب المغفرة	١٣٧.....
الباب الحادي والعشرون: في فضل الاعتكاف ولزوم المساجد	١٤١.....
فصل: في فضل عمارة المساجد	١٤٥.....
الباب الثاني والعشرون: في فضل قيام الليل	١٤٩.....
فصل: وما جاء في إحياء الليل	١٥٢.....
الباب الثالث والعشرون: ما جاء في السبع الأواخر وطلب ليلة القدر وفضل الاجتهاد في الاعمال	١٥٥.....

فصل: في ما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم في جنات النعيم	١٥٧
فصل: في وصف الجنة	١٥٨
الباب الرابع والعشرون: في الحث على الدعاء	١٦١
الباب الخامس والعشرون: في الحث على التوبة	١٦٥
الباب السادس والعشرون: ليلة القدر	١٧١
فصل: في فضل ليلة القدر	١٧٤
فصل: أسباب المغفرة في رمضان	١٧٥
الباب السابع والعشرون: في الاهتمام لقبول العمل	١٧٧
فصل: فيما جاء في أنهار الجنة	١٧٩
الباب الثامن والعشرون: في زكاة الفطر	١٨١
الباب التاسع والعشرون: في ختام الشهر	١٨٧
الباب الثلاثون: في وداع شهر رمضان	١٩٣
: العيد	١٩٧
: أدعية نافعة جامعة	٢٠٠